بأسمائه نَهتدي
رحلة إلى غاية الخلق وسرّ الحياة
د. ممدوح محمد سلامة

في رحلة العبور بين عالم الوجود وأفق الخلود، يناديك هذا

الكتاب لتوقظ روحك من غفلة الأيام،

وتستعيد بصيرة القلب في ظلال الأسماء الحسنى.

صفحات تهديك الى معنى الحياة،

وتكشف لك سر الطريق الى ربك،

حيث تتجلى الحكمة، وينبض القلب بمحبةٍ لا تنطفئ.

اعبر به الى معرفة نفسك،

وازدد به قربًا ممن خلقك في أحسن تقويم،

لتجد في النهاية أن الطريق كله كان

اليه.

الفهرست:

المقدمة 10
تمهيد 12
كلمة شكر وتقدير 14
التحقُّق من المرجع الإلهي..... 16
غاية الحياة 22
طبيعة هذه الحياة..... 26
الحياة مهمة مؤقتة 26
الحياة اختبار 28
الحياة أمانة..... 31
وسيلة تحقيق غاية الحياة – العبادة 34
طاعة الله..... 41
مفهوم الاستسلام 42
الطاعة الكاملة..... 42
الطاعة في جميع مجالات الحياة..... 43
إتقان العمل عبادة 45
الطاعة سبيل محبة الله 45
محبة الله 46
الشكر لله 49
التوكل على الله 51
المال كاختبار للثقة بالله..... 52
معايير جودة العبادة الصحيحة 54
الإخلاص 54
الصواب 55
العوائق أمام العبادة الصحيحة..... 57
الكِبر 57
الخوف..... 57
قلة الالتزام..... 58
الجهل 58
الخلق الإسلامي في ظلال أسماء الله الحسنى..... 59

الأساس للإجابة 59
الله – الاسم الأعظم 64
تأثيرات هذا الاسم العظيم 65
الرحمن 66
أمثلة على استخدام اسم "الرحمن" في القرآن 67
كيف نتخلق باسم "الرحمن" في سلوكنا وشخصيتنا 69
الرَّحِيمُ 70
كيف نتخلق باسم "الرحيم" في سلوكنا وشخصيتنا 73
الملك 74
كيف نتخلق باسم "الملك" في سلوكنا وشخصيتنا 77
القدوس 78
كيف نتخلق باسم "القدوس" في سلوكنا وشخصيتنا 80
السَّلَام 81
كيف نتخلق باسم "السلام" في سلوكنا وشخصيتنا 85
المؤمن 86
كيف نتخلق باسم "المؤمن" في سلوكنا وشخصيتنا 89
المهيمن 90
كيف نتخلق باسم "المهيمن" في سلوكنا وشخصيتنا 92
العزيز 93
كيف نتخلق باسم "العزيز" في سلوكنا وشخصيتنا 95
الجبّار 96
كيف نتخلق باسم "الجبَّار" في سلوكنا وشخصيتنا 98
المتكبر 99
كيف نتخلق باسم "المتكبِّر" في سلوكنا وشخصيتنا 101
الخالِق 102
كيف نتخلق باسم "الخالق" في سلوكنا وشخصيتنا 105
البارئ 106
كيف نتخلق باسم "البارئ" في سلوكنا وشخصيتنا 109
المصوّر 110
كيف نتخلق باسم "المُصوِّر" في سلوكنا وشخصيتنا 112
الحكيم 114
كيف نتخلق باسم "الحكيم" في سلوكنا وشخصيتنا 117

الودود 118
كيف نتخلق باسم "الودود" في سلوكنا وشخصيتنا 121
الوَلِيّ والمَوْلَى 122
كيف نتخلق باسم "الولي" في سلوكنا وشخصيتنا 126
الوَاحِد - الأَحَد..... 128
كيف نتخلق باسم "الواحد الأحد" في سلوكنا وشخصيتنا 130
العَلِيم 132
كيف نتخلق باسم "العليم" في سلوكنا وشخصيتنا 135
الحَلِيم..... 136
كيف نتخلق باسم "الحليم" في سلوكنا وشخصيتنا..... 139
الغفَّار – الغفور - العفو..... 140
كيف نتخلق باسم "الغفور" في سلوكنا وشخصيتنا..... 144
الحميد 146
كيف نتخلق باسم "الحميد" في سلوكنا وشخصيتنا 149
الحي - القيوم 151
كيف نتخلق باسم "الحي القيوم" في سلوكنا وشخصيتنا..... 154
عن المؤلف:..... 156

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

هذا الكتاب ليس مجرّد دراسة نظرية عن أسماء الله الحسنى، بل هو محاولة تهدف إلى الإجابة عن أعظم الأسئلة التي شغلت الإنسان منذ أن وجد على هذه الأرض:
لماذا خُلقنا؟
ما حقيقة هذه الحياة؟
ما هو دورنا فيها؟
وما هي الصفات التي يجب أن نتخلّق بها لنبلغ النجاح في رسالتنا؟

لقد افتتحنا هذا الكتاب بأربعة أسئلة وجودية، وسيكون كل سؤالٍ بمثابة فصل في هذا الكتاب، وتلك أسئلةٌ لا غنى عنها لكل إنسان يسعى للفهم والهداية وهي على النحو الآتي:

1- ما غاية وجودنا في هذه الحياة؟
إنّ الغاية من وجودنا ليست إلا معرفة الله، ومحبته، وعبادته وحده لا شريك له، والسير على طريقه طلبًا لرضاه والفوز بلقائه في دار الخلود.

2- ما طبيعة هذه الحياة الدنيا؟
هذه الحياة دار ابتلاء، وساحة اختبار، ومزرعة للآخرة. هي ممرّ لا مقرّ، يعيش فيها الإنسان بين نعمة وفتنة، بين فرصة وامتحان، حتى يعود إلى خالقه محمّلاً بثمرات عمله.

3- ما دورنا في هذه الحياة لتحقيق تلك الغاية؟
دورنا أن نكون عبادًا لله مخلصين، خلفاء له في أرضه، نُقيم دينه وننشر الخير والعدل، ونُعمّر الأرض بالصلاح.

4- ما الصفات التي يجب أن نتحلّى بها لـنُـتِمّ رسالتنا؟
علينا أن نتزيّن بصفات العبودية الحقة: بالإخلاص، والصبر، والشكر، والتواضع، وحسن الظن بالله، والتوكل عليه، والحب له وفيه، والعدل مع خلقه، والرحمة بالناس كافة.

هذه الأسئلة لم توضع في مقدمة الكتاب لمجرّد التمهيد النظري، بل هي البوصلة التي سيهتدي بها القارئ . ولأن أعظم وسيلة للإجابة عن هذه الأسئلة هي معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، فقد سلكنا هذا الطريق:

- فمع كل اسم من أسماء الله الحسنى، نجد جوابًا حيًّا ينعكس على فهمنا لوجودنا.
- وفي تأمل كل صفة من صفاته سبحانه، نكتشف رؤى جديدة عن حقيقة الحياة، وعن دورنا فيها، وعن الطريق إلى النجاة والفوز في الدارين.

عندما نعرف أن الله سبحانه هو **الخالق** ندرك أننا مخلوقون عن علمٍ وحكمةٍ وقصد.وعندما نعرف أنه **الحكيم** نفهم أن كل ما يجري في حياتنا له حكمة بالغة، حتى لو خفيت علينا.
وعندما نؤمن أنه **الودود** نزداد محبةً له، وطمأنينةً إليه، ونسعى لأن نكون رحماء بخلقه.وعندما نعرف أنه **العزيز** نستغني بعزته عن ذلّ الطلب من الخلق.

المؤلف

تمهيد

وهكذا، في كل اسم من أسمائه سبحانه، نجد نورًا يهدي القلب، ويضيء الطريق أمام السالك إلى الله.

إنّ هذا الكتاب دعوة إلى أن نعيد بناء علاقتنا بالله تعالى على أساس من المحبة والمعرفة واليقين.
إنه يعلّمنا أن العلم بأسماء الله الحسنى ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لتزكية النفس، وتهذيب السلوك، وبلوغ مرتبة الإحسان، حيث نعبد الله كأننا نراه.

ونختم هذه المقدمة بتذكير جوهري:
معرفتنا بالله من خلال أسمائه وصفاته ليست فقط معرفة للعقل، بل هي غذاء للقلب، وقوة للروح، ونور في الحياة، وجسر إلى الآخرة.

وكلما ازددت معرفةً بالله سبحانه، ازددت حبًّا له، وكلما ازددت حبًّا له، ازددت سعيًا إليه،
ومن سار إلى الله بصدق، بلّغه الله إليه.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لمن قرأه، مباركًا في أثره، سببًا في تقريب القلوب إلى خالقها، ومفتاحًا لفهم غاية وجودنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كلمة شكر وتقدير

أتوجه أولًا بالشكر لله سبحانه جلَّ وعلا ، الذي منَّ عليَّ بفضله، وأتاح لي فرصة المساهمة في نشر فهم رسالة الإسلام.
كما أعرب عن بالغ امتناني لوالديَّ الكريمين، اللذين نشأتُ على أيديهما مسلمًا، ولزوجتي وأولادي على دعمهم المتواصل وتشجيعهم الدائم.
هذا الكتاب مستند إلى سلسلة من المحاضرات التي ألقيتها بعد صلاة الفجر في مركز مريم الإسلامي بمدينة هيوستن فى ولاية تكساس. وأشكر أعضاء هذا المركز على تشجيعهم الكريم وإتاحة الفرصة لي لتقديم هذه المساهمة المتواضعة.
كانت كتب الدكتور محمد راتب النابلسي، لا سيما موسوعته "موسوعة أسماء الله الحسنى"، مرجعًا ثريًّا لدراسة أسماء الله وصفاته.
ولا يفوتني أن أعبر عن امتناني العميق للعديد من الكتّاب والمحاضرين الذين أفدت من أفكارهم، ولو لم يُذكروا بالاسم في هذا الكتاب.
وفوق ذلك كله، أشكركم أنتم، قرّاء هذا الكتاب، على تخصيص وقتكم لقراءته ومشاركته مع الآخرين. وأسأل الله تعالى أن يغفر لي أي خطأ قد يكون تسلل إلى النص أو في نقل أحاديثه ﷺ.

تنويه إلى القرّاء:
لم يتم تناول جميع أسماء الله الحسنى في هذا الإصدار من الكتاب. وسيتم، بإذن الله تعالى، استكمال ذلك في الطبعات القادمة.

التحقُّق من المرجع الإلهي

نظرًا لتعدُّد الجماعات التي تدّعي أن كتبًا مختلفة هي كلام الله الحق، يبرز سؤال مهم: كيف نُميّز الوحي الحقيقي؟
إذا كنا نبحث بصدق عن رسالة من الخالق — الذي يتصف بكمال العلم والحكمة — فينبغي أن يكون وحيه واضحًا، ومتسقًا، وسهل التعرُّف عليه من خلال التأمل الصادق وبأقل قدر من الجهد.

الخطوة الأولى هي تحديد أكثر الكتب الدينية انتشارًا والمتوفرة باللغة الإنجليزية:

الفيدا (الهندوسية)
العهد القديم/التوراة (اليهودية والمسيحية)
العهد الجديد (المسيحية)
القرآن الكريم (الإسلام)

تتبع هذه النصوص الأربعة أكثر من 70٪ من سكان العالم.

ولكي نُقيّم مصداقية هذه الكتب بشكل عادل وفعّال، يمكننا أن نطبّق طريقة عقلانية بسيطة — تشبه الطريقة التي يختار بها معظم الناس كتابًا للدراسة من بين كتبٍ كثيرة. يقرأون الصفحة الأولى لفهم غرض الكتاب، ثم يقرأون الصفحة الأخيرة لاستخلاص الرسالة الأساسية التي أراد المؤلف تركها في ذهن القارئ.

هذه الطريقة، الخالية من التحيز والمتاحة لأي شخص يملك اتصالًا بـ(الإنترنت)، توفّر نقطة انطلاق معقولة. ويعرض الجدول التالي مقارنة بين الفقرات الافتتاحية والختامية من هذه الكتب الأربعة، والتي يدّعي أتباعها أنها من عند الله.

الصفحة الأولى:

القرآن	العهد الجديد	العهد القديم	ريغ فيدا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ	كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱبْنِ دَاوُدَ ٱبْنِ إِبْرَاهِيمَ. إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ، وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَاحَ مِنْ ثَامَارَ، وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ، وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ...	فِي ٱلْبَدْءِ خَلَقَ ٱللهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ. وَكَانَتِ ٱلْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ ٱلْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ ٱللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ ٱلْمِيَاهِ. وَقَالَ ٱللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ». فَكَانَ نُورٌ	أَشْعِلُ النَّارَ، قُرْبَانًا قَدِيمًا، هُوَ كَاهِنُ الطَّقْسِ، وَوَسِيلَةُ الْقُرْبَانِ، الَّذِي يُقَرِّبُ الْآلِهَةَ إِلَيْنَا. نَحْمَدُكَ يَا نَارُ، الَّذِي يَنْشُرُ الْمَجْدَ وَالنُّورَ

الصفحة الأخيرة:

القرآن	العهد الجديد	العهد القديم	ريغ فيدا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ	يَقُولُ ٱلشَّاهِدُ بِهَذَا: «نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا». آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا ٱلرَّبُّ يَسُوعُ! نِعْمَةُ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ	هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا ٱلنَّبِيَّ، قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ ٱلرَّبِّ ٱلْعَظِيمِ وَٱلْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ ٱلْآبَاءِ إِلَى ٱلْأَبْنَاءِ، وَقَلْبَ ٱلْأَبْنَاءِ إِلَى ٱلْآبَاءِ، لِئَلَّا آتِيَ وَأَضْرِبَ ٱلْأَرْضَ بِلَعْنَةٍ	لِيَكُنْ قَلْبُكُمْ وَاحِدًا، وَقَرَارُكُمْ وَاحِدًا، وَلْتَكُنْ رُوحُكُمْ مُوَحَّدَةً، لِيَكُنْ هَتَافُكُمْ وَصَوْتُكُمْ وَأَنْشُودَتُكُمْ وَاحِدًا، لِتَكُونَ قُلُوبُكُمْ مُتَّحِدَةً

عند مقارنة هذه الكتب الأربعة، خلصتُ إلى أن كلاً من القرآن الكريم والعهد القديم فقط يُظهران سمات الوحي الإلهي.

والخطوة الثانية هي تحديد أيٍّ من هذين الكتابين يمكن اعتباره الوحي الإلهي الأصدق والأصلح للدراسة من أجل استخراج الأجوبة على الأسئلة الأربعة، التي تطرقنا اليها في مقدمة هذا الكتاب وهي:

1- ما غاية وجودنا في هذه الحياة؟
2- ما طبيعة هذه الحياة الدنيا؟
3- ما دورنا في هذه الحياة لتحقيق تلك الغاية؟
4- ما الصفات التي يجب أن نتحلّى بها لـنُـتِـمّ رسالتنا؟

وللتحقّق من المصدر الإلهي لهذين الكتابين، بحثتُ عن إجابات لستة أسئلة أساسية:

1. هل يحدِّد الكتاب الغاية من وجوده؟
2. هل يصرّح الكتاب أن محتواه وحيٌ من عند الله سبحانه؟
3. هل يذكر الكتاب أن هذا الوحي أُنزل على رسولٍ معيَّن؟
4. هل هذا الرسول معروف بالحكمة والصدق والأمانة؟
5. هل الشخص الذي نقل أو دوَّن الوحي معروف بالحكمة والصدق والأمانة؟
6. هل النسخة المتوفرة لدينا اليوم هي نفسها الأصل دون تغيير؟

عند البحث عن إجابات هذه الأسئلة في كل من العهد القديم والقرآن، لاحظت أن القرآن يجيب عن السؤال الأول في صفحته الأولى، بينما كان من الصعب العثور على إجابة واضحة في العهد القديم. يقول القرآن في أول صفحاته:

((ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ)) البقرة: 2

أما الإجابات على الأسئلة الأخرى، فقد ظهرت في صفحات لاحقة، إلا أن ميزةً لافتة في القرآن هي احتواؤه على **اختبارات للتحدي** يمكن للمتشككين استخدامها للتحقق من مصدره الإلهي. هذه التحديات تقول باختصار: إذا لم يكن هذا الكتاب وحيًا من عند الله،

فكل ما عليك فعله هو:

١ .أن تجد فيه خطأً أو تناقضًا.
٢ .أن تأتي بعشر سور مثله، وإذا كان ذلك صعبًا، فقد خُفِّف التحدي إلى سورة واحدة فقط.
٣ .أن تجد كتابًا آخر يتناول نفس المواضيع ويُفهم بسهولة من قِبَل أي قارئ، بغض النظر عن مستواه العلمي.

وقد وردت هذه التحديات في الآيات التالية:

((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا)) النساء: 82

((أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)) هود: 13-14

((وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (23) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ)) البقرة: 23-24

((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ))
القمر:17،22،32،40

واستنادًا إلى هذه المعطيات الموضوعية والبسيطة، توصّلتُ إلى أن القرآن الكريم هو الوحي الإلهي الأصيل. لذلك، سأسعى لاستخراج الأجوبة على الأسئلة الأربعة منه.

وأُقِرُّ بأن البعض قد يرون في إختيارى هذا نوعًا من الانحياز النابع من تربيتي كمسلم. ولهذا السبب، أشجّع كل من يستطيع إثبات أن كتابًا آخر هو وحيٌ إلهي حقيقي أن يستخدمه للإجابة على الأسئلة الأربعة، وينشر نتائجه بشكل منفصل. ففي نهاية المطاف، سيحاسبنا الخالق فردًا فردًا بناءً على إخلاصنا في البحث عن وحيه الحقيقي واتباعه.
وفي ذلك الموقف، لن يدافع أحد عن أحد؛ فكل إنسان مسؤول عن قراراته في هذه الحياة.

غاية الحياة

إن وضوح الغاية من حياتنا أمرٌ في غاية الأهمية، لأنه يمنح لحياتنا معنًى، ويجعلها أبسط وأكثر تركيزًا وتحفيزًا. ففهمنا لهدف وجودنا يُعيننا على تحمُّل الشدائد، ويوفّر أساسًا لاتخاذ القرارات، ويُمكّننا من توجيه جهودنا وطاقتنا نحو ما هو مهم، كما يُبعدنا عن التشتّت في أمور تافهة. أمّا من يعيش حياته دون إدراكٍ لهدفها، فإنه يعيش حياة عبثية مضطربة، لا معنى لها.

ومن المؤسف أن كثيرًا من المسلمين يفتقدون إلى هذا الوضوح في فهم غاية حياتهم، وينقلون هذا الغموض إلى أبنائهم منذ الصغر من خلال طرح أسئلة ذات طابع أناني، مثل:

- ماذا تريد أن تكون؟
- ماذا تنوي أن تفعل في حياتك؟
- ما هي أهدافك وأحلامك؟

التركيز على ذواتنا لن يكشف لنا عن سبب وجودنا. لفهم الغاية من وجودنا على هذا الكوكب، علينا أن نبدأ من الخالق، الله سبحانه وتعالى.

علينا أن نُدرك أننا لسنا نتاج مصادفة، فمهما بدا أن والدينا لم يُخطِّطا لإنجابنا، فإن الله قد خطّط. فقدّر وجودنا قبل أن نُخلق في أرحام أمهاتنا، بل خَلَقنا منذ آلاف السنين، كما أخبرنا عن خلقنا الأول في زمن آدم عليه السلام، في قوله تعالى في سورة الأعراف:

((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ))
الأعراف: 11

وفي موضع آخر من نفس السورة، يُصوّر لنا مشهدًا آخر من لحظة ميلادنا الأولى:
((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)) الأعراف: 172

وفي سورة الكهف، يصف الله مشهدًا مشابهًا يوم نُبعث من جديد:
((وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا)) الكهف: 48

فطريقة إخراجنا من أصلاب آبائنا لِنقِف أمام الله ونشهد أنه ربّنا ليست موضوع نقاشنا، لكن المهم أن نعلم أنَّ الله سبحانه قد كتب كل تفصيلة في حياتنا منذ ذلك الوقت.
لقد اختار عِرقك، ولون بشرتك، وكل سمة من سمات جسدك، واختار والديك بجيناتهم المناسبة لِيُنتجك كما أراد، وقدّر صفاتك ومواهبك وطباعك، وخلق لك بيئةً مناسبة لبقائك ومعيشتك.

فالله سبحانه لا يفعل شيئًا عبثًا، وله حكمة في كل شيء. قرّر وقت ولادتك، ومكانها، ووقت وفاتك، ومدة حياتك ومكان إقامتك. لا شيء في حياتك يحدث صدفة؛ كل شيء له غاية.

الله جل في علاه لم يخلقك لأنه كان يشعر بالوحدة، بل خلقك لهدف .يقول في سورة المؤمنون:

((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ))
المؤمنون: 115

إذًا، **ما هي غاية حياتنا على الأرض؟**
الجواب: أن نُعدَّ أنفسنا للحياة الأبدية حين نرجع إلى الله. وهذا المعنى متكرّر في مواضع كثيرة من القرآن، منها قول الله تعالى:

((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا...))
الأنعام: 130

إن الحياة على الأرض ما هي إلا مرحلة إعداد للعودة إلى الله، وهذه المرحلة مهمة جدًا لأننا في الدنيا نملك اختيارات كثيرة، أما في الآخرة فهناك خياران فقط :الجنة أو النار .ولذلك يجب أن تكون غاية إعدادنا للحياة الأبدية أعظم من سعينا للراحة أو تحقيق الذات. فليس كل من نجح في حياته قد حقق الغاية التي خلقه الله من أجلها.

الحياة الدنيا أشبه بـ(البروفة) أو التهيئة للإستعراض الحقيقي. كما أن الأشهُر التسعة التي قضيتها في رحم أمك لم تكن نهايةً بل استعدادًا للحياة، فإن هذه الدنيا ليست سوى تهيئة للحياة الآخرة .ومن المأساة أن كثيرًا من الناس سيُحرمون من نعيم الله الأبدي لأنهم اختاروا أن يعيشوا في الدنيا بدونه.

ورغم أن حياة الإنسان على الأرض تبدو طويلة، إلا أنها في ميزان الآخرة قصيرة جدًا، كما قال الله تعالى:
((وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)) الحج: 47

ويُؤكّد الله سبحانه هذا المعنى في مواضع عديدة، منها قوله:

((كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ)) الأحقاف: 35

فغاية وجودك على الأرض هي أن تُعِدَّ نفسك للأبدية. وإذا عشت في الدنيا بنور الآخرة، فسترتقي قيمك، وتُحسن استثمار وقتك ومالك، وتُقدِّم الأخلاق على المال والشهرة. وستبدو لك كثير من المشاكل التي تواجهها تافهةً لا تستحق القلق.

ولكي تستثمر حياتك على أفضل وجه، عليك أن تُبقي رؤيتك للأبدية حيّة في ذهنك، وتُعظِّم مكانتها في قلبك. وإذا فعلت ذلك، فلن تخشى الموت أبدًا، لأنك ستفهم أنَّ الموت ليس نهاية الحياة، بل هو ميلادٌ لحياة أبديَّة.

صحيحٌ أن عقولنا لا تستطيع إدراك جمال الجنة وعظمتها بشكلٍ كامل، لكنَّ الله سبحانه أعطانا لمحات عنها في القرآن بكلمات نستطيع فهمها، كي نتهيأ لها ونسعى إليها.

طبيعة هذه الحياة

الطريقة التي ننظر بها إلى الحياة تُشكِّل مسارها. وإذا سألتَ أحدًا كيف يتخيَّل حياته، فغالبًا ما سيستخدم استعارةً لتوصيفها، وهذه الاستعارة تؤثِّر على حياته بشكلٍ أعمق مما يدرك. فمثلًا:

1. من يرى الحياة حفلة، ستكون المتعة هي قِيمته الأساسية.
2. من يراها سباقًا، سيُعلي من قيمة السرعة، ويعيش على عجل.
3. من يراها سباق الماراثون، يُركِّز على الصبر والتحمُّل.
4. من يراها معركة، فالنصر هو غايته الكبرى.

أما المسلم، فإن القرآن يقدِّم ثلاث استعارات تعكس حقائق أبدية عن الحياة، ويجب أن تُشكِّل هذه الاستعارات الأساس الذي ننظر من خلاله إلى الحياة، وهي:

1. الحياة مهمة مؤقتة.
2. الحياة اختبار.
3. الحياة أمانة.

الحياة مهمة مؤقتة

يُعلِّمنا القرآن أن حياتنا على الأرض قصيرة وعابرة. وبعد مغادرتنا لهذا العالم، سيبدو وكأننا لم نلبث فيه إلا جزءًا يسيرًا من ساعة، كما يقول الله تعالى:

((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ))
يونس: 45

((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ))
الروم: 55

((وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))
النحل : 77

((يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا (42) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ (43) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ (44) إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا (45) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا))
النازعات: 42-46

وبمقارنة هذه الحياة بالأبدية، فإنها قصيرةٌ جدًّا.

فكما يقول تعالى:

((وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ))الحج: 47

حتى وإن عشت مئة عام، فهي لا تساوي أكثر من ساعتين في ميزان الآخرة. لذلك، نحن في هذه الأرض ضيوف ومسافرون في طريقنا إلى الوطن الحقيقي: الجنة.

وقدّر الله بحكمته أن نُعاني من بعض الكَدَر حتى لا نتعلّق بالدنيا، فهي ليست دار قرار.

الحياة اختبار

القرآن يُبيّن أن الحياة اختبارٌ مستمرّ، وهذا ما نراه في قصص الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام الذين ابتُلوا بمحن عظيمة مثل (إبراهيم، يعقوب، لوط، يوسف، موسى، عيسى) ونبينا محمد ﷺ.

الله سبحانه يختبر إيماننا، صدقنا، طاعتنا، أخلاقنا، ومحبتنا. والابتلاءات تَكشف معدن الإنسان وتُنمّي شخصيته. يقول تعالى:

((أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ (2) وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ..))العنكبوت: 2-3

((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ))الأنبياء: 35

وفي سورة البقرة، يذكر الله سبحانه نماذج من هذه الابتلاءات:

((وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (155) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (156) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ.))

البقرة: 155-157

كن أن تتفاوت الاختبارات من مضايقات بسيطة إلى تحديات ساحقة، لكنها جميعًا ذات آثار أبدية. إن فهم الحياة على أنها اختبار يساعدنا على إدراك أن كل لحظة تُشكِّل فرصة لبناء الشخصية، وتقوية الإيمان، وإظهار الاعتماد على الله. فالله سبحانه يريد لنا أن ننجح في هذه الاختبارات، ولن يُكلِّفنا ما لا طاقة لنا به:

((وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)) المؤمنون: 62

وقد أنزل الله أيضًا:

((لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)) البقرة: 286

وفي كل مرة تنجح فيها في تجاوز اختبار، فإنك تُضيف إلى كنزك الأبدي في الآخرة. وهذا ما علَّمنا إيّاه النبي ﷺ؛ فسواءً كان الابتلاء في صورة نِعمة أو محنة، فإن النجاح في هذا الاختبار يعتمد على مستوى رضاك وطبيعة استجابتك له. وقد قال النبي ﷺ:

عن صهيب قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

" عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ " رواهُ مُسْلِمٌ.

كما يُعلّمنا القرآن الكريم الثقة في تدبير الله سبحانه:

((فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)) النساء: 19

أوصى النبي ﷺ بقراءة سورة الكهف كل يوم جمعة، وفي هذه السورة قصة لقاء بين نبي الله موسى عليه السلام والرجل الصالح الخَضِر. وقد قام الخَضِر بثلاثة أفعال اعترض عليها نبي الله موسى. فسّر موسى اثنين من هذه الأفعال على أنهما شرّان، والثالث على أنه فعل أحمق. الفعلان اللذان اعتبرهما موسى شرًّا وفسادًا هما:

إحداث الخرق في سفينة المساكين، وقتل غلام صغير. ولكن عندما شرح الخَضِر الأسباب الحقيقية وراء أفعاله، اتضح أن ما بدا شرًّا في ظاهره كان في حقيقته نعمة عظيمة لأولئك المتأثرين به. وكان الخَضِر في موقف فريد، فقد أطلعه الله على علمٍ بالغيب لم يكن موسى عليه السلام يعلمه.

ينبغي ألّا يساورنا شك في أن وجود الشر في هذا العالم لا يتعارض مع كمال أفعال الله وحكمته. السؤال الحقيقي ليس: لماذا يسمح الله بوجود الشر؟ بل: كيف سنتعامل نحن معه؟ فوجود الشر الظاهري هو اختبارٌ لأولئك الذين أعطاهم الله القدرة على ارتكابه، ولمن ابتُلوا به، ولمن شهدوه.

المسألة ليست في "لماذا" أوجده الله، بل في "ماذا ستفعل حياله؟" فإن رأيت شرًّا في العالم، ولم تحرّك ساكنًا سوى الشكوى، فقد فشلت في الاختبار.

وقد علَّمنا النبي ﷺ ثلاث وسائل لمواجهة المنكر، في الحديث الشريف المشهور:
عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " (رواه مسلم)

إن لم تستطع فعل شيء تجاه المنكر، فعليك على الأقل أن تُنكره بقلبك، وألا تؤيّد من يرتكبه أو تدعمه.

أما الذين وقع عليهم الظلم أو الأذى، فإنهم أيضًا في اختبارٍ حين يُمنحون القدرة على ردّه. فينبغي ألّا يكون ردّهم مدفوعًا بالانتقام أو الكراهية، بل بالعدل والرحمة. يقول الله تعالى:

((وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ..)) فصلت: 34

الحياة أمانة

الله تعالى حمّل الإنسان أمانةً عظيمة لم تستطيع السماوات والأرض والجبال حملها:
((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) الأحزاب: 72
وجعلنا خلفاء في الأرض:

((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) البقرة: 30

لقد وفَّر لنا الله كل الموارد التي نحتاجها، ومنحنا الطاقة، والذكاء، والفرص، والعلاقات، لنتمكَّن من أداء هذه الأمانة. وتبدأ فكرة "الخلافة" أو "الاستئمان" من إدراك أن الله سبحانه هو مالك كل شيء، وكل مَن في هذا الكون. فكل ما نملكه ليس لنا ملكًا حقيقيًّا، بل هو عارية وأمانة، وُجِد قبلنا وسيبقى بعدنا.

ودورنا هو أن نُدير خلق الله ونرعاه. فالهواء، والماء، والأرض، والحيوانات، والطيور، وسائر ما على الأرض أمانات بين أيدينا، علينا أن نستخدمها ونحافظ عليها. كذلك الصحة، والمال، والسلطة، والقدرات العقلية، كلها من نعم الله، وقد أودعها لدينا لنرعاها ونُحسن استخدامها.

ومن خلال فهم هذه الاستعارات الثلاث (المهمة المؤقتة، والاختبار، والأمانة)، يستطيع المسلم أن يسير في حياته برؤية واضحة، مستنيرة بحقائق القرآن الأبدية.

وإنما نُفرّط في هذه النعم حين نظلم أنفسنا، ونتجاهل قدراتنا ومسؤولياتنا، فنُبدِّد عطايا الله، ونفقد الاتجاه، ونتخبّط في الحياة بلا هدى.

وعند نهاية عمرك في هذه الدنيا، ستُقيَّم وتُجازى بناءً على مدى حسن إدارتك للأمانة التي ائتمنك الله عليها. وهذا يعني أن كل عمل تقوم به ـــ حتى أبسط المهام اليومية ـــ له أثر أبدي.

وقد شدّد الله سبحانه على هذه الحقيقة بقوله:

((ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ))التكاثر: 8

وقال النبي ﷺ:

" عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ. " (رواه الترمذي)

وسيلة تحقيق غاية الحياة – العبادة

السؤال الثالث هو: **ما هو دورنا على الأرض لتحقيق غاية وجودنا؟**
وقد بيّن الله تعالى الجواب في سورة الذاريات، حيث يقول:

((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)) الذاريات: 56-58

تُبيّن هذه الآيات بوضوح أن الطريقة الأساسية التي يحقق بها الإنسان غايته في هذه الحياة هي :**عبادة الله**.

لكن يجب أن نلاحظ أن مصطلح **"العبادة"** يستوجب توضيحًا أعمق قبل أن نناقش عناصر هذا الأمر، ومقاييس جودته، والعوائق التي قد تعوق تحقيقه.

الفعل العربي **"يعبد"** ومصدره "عبادة"، فهو مشتق من الجذر "عبد"، والذي يعني **العبودية والخضوع الكامل** .والعلاقة بين العبد وربه تُسمّى "عبودية"، والأفعال التي يقوم بها العبد تجاه سيّده تُسمى "عبادة"، ومن يقوم بها يُسمى "عبد". ولهذا، يُعد اسم "عبد الله" من الأسماء المنتشرة.

ملاحظة :في الغرب يُظن أن "عبد الله" اسم إسلامي بحت، لكنه في الحقيقة كان موجودًا في الجزيرة العربية قبل الإسلام، ويُستخدم أيضًا لدى بعض المسيحيين العرب. ففي أول آية في سفر التكوين في الإنجيل العربي نقرأ:

" فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ"، لكن في الترجمة الإنجليزية استُبدل اسم "الله" بـ"God"

الفرق بين "عبيد" و"عباد"

في القرآن الكريم، استخدم الله لفظين جمعًا لكلمة "عبد:"

- "عبيد "(وردت 5 مرات) وغالبًا ما تُستخدم عند الحديث عن الكافرين.
- "عباد "(وردت 97 مرة) وتُستخدم عند الحديث عن المؤمنين.

مثال على استخدام "عبيد"

((وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)) آل عمران: 181-182

مثال على استخدام "عباد"

((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ))
البقرة: 186

العبادة في الإسلام ليست مجرد طقوس دينية، بل هي علاقة دائمة من الطاعة الكاملة، والخضوع، والارتباط بالله.

الفرق الجوهري بين العبودية لله والعبودية للبشر هو أن:

- السيد البشري يستفيد من عبيده.
- أما الله تعالى فهو غني عن عباده، بل هو من يُنعم عليهم، ويمنحهم السعادة والبقاء.

وقد لخّص الله هذه الحقيقة بقوله:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ)) فاطر: 15-17

ويؤكد هذا المعنى حديثٌ قدسيّ قال فيه النبي ﷺ عن ربّه:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال :

(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أُطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجرِ قلب واحد منكم ما نقص من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عِبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) رواه مسلم .

رقابة الله الدائمة ودورنا كعبادٍ له.

الله سبحانه لا ينام أبدًا، وهو دائم اليقظة لحفظنا ورعايتنا كعباد له. فعندما ننام، يتولّى سبحانه إدارة وظائف أجسادنا الحيوية، ويمنع عنا الموت. تخيّل كم كنا سنبقى على قيد الحياة لو كُلِّفنا بإدارة نبض قلوبنا، ودوران دمائنا، وتنفسنا بأنفسنا؟! إن الله هو من يضمن بقاءنا من خلال تحكمه في الهواء الذي نتنفسه، والشمس التي تمدّنا بالنور والدفء، والماء الذي نشربه، والطعام الذي نأكله.

فإذا كان الله سبحانه يفعل كل شيء لأجلنا، ولا يحتاج منا إلى شيء، فلماذا يريدنا أن نعبده وحده وأن نخضع له وحده على هذه الأرض؟ الجواب: لأن الله سبحانه يريد لنا أن نعيش مكرَّمين، محرَّرين من أن يستعبدنا بشر، أو يُهيمن علينا مخلوق. فعبوديتنا لله تحرِّرنا من العبودية لأي مخلوق.

ويبدو أن من طبيعة البشر الميل إما للسيطرة أو للخضوع. وقد دفع هذا المفهوم بعض الفلاسفة وعلماء اللاهوت المسيحيين إلى تبرير نظام الرقّ. فقد رأى الفيلسوف اليوناني أرسطو أن العبودية أمر طبيعي، وأن الناس فئتان: عبيد وأحرار. وذهب أفلاطون إلى أن العدالة تقتضي أن يحكم "الأفضل" من هم دونه.

لكن القرآن الكريم جاء بنقيض ذلك، فأعلى من شأن الإنسان وحرّره من كل شعور بالدونية أمام غيره، بإعلانه أن **كل البشر عبادٌ لله**، وهو السيّد الوحيد في هذا الكون. ومع أن البشر متساوون أمام الله في العبودية، إلا أن **العدل في الآخرة** هو الغاية، لا المساواة المطلقة في الدنيا.

- المساواة تعني أن يُمنَح الجميع الموارد أو الفرص نفسها.

- أما العدالة (الإنصاف) فتعني أن يُمنَح كل فرد ما يحتاجه بحسب ظروفه ليصل إلى نتيجة عادلة.

وقد خلق الله الناس بمواهب وقدرات متفاوتة، وأعطاهم أرزاقًا ونِعَمًا بنسب مختلفة، لضمان استمرار الحياة وتكاملها. يقول تعالى:

((أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)) الزخرف: 32

ومن الحقائق التي يغفل عنها كثيرون، أن **توسيع الرزق** للجميع قد يؤدّي إلى الطغيان والفساد.
يقول الله سبحانه وتعالى:

((وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)) الشورى: 27

وقد أثبتت تجربة شهيرة أجراها الباحث الأمريكي
جون كالهون تحت عنوان: تجربة يوتوبيا الفأر..
“Mouse Utopia Experiment “Universe 25,
By: John Calhoun

أن الكوارث الاجتماعية يمكن أن تنجم عن الوفرة الزائدة.
وخلصت التجربة إلى أن التوتر والاحتياجات والضغوط ضرورية للحياة لأنها تمنحها معنًى.

الناس جميعًا - سواء كانوا ملوكًا أو خدمًا، رجالًا أو نساءً - هم عبيدٌ لله .دورهم هو إدراك هذه العلاقة والتصرّف على أساسها. فلا ينبغي لأحد أن يستغلّ النعم التي منحه الله إيّاها ليشعر بالتفوق على غيره.

الفروقات بين الناس ليست تفاضلًا، بل هي توزيعٌ للأدوار لضمان توازن المجتمع. فمثلاً: الطبيب لا يَفضُل عامل النظافة من حيث القيمة الإنسانية؛ فكلاهما لا غنى عنه للآخر، وكلاهما عبدٌ للسيد الواحد :**الله** .والمقياس الوحيد للتفاضل عند الله هو **التقوى** .يقول الله:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))
الحجرات: 13

وفي يوم القيامة، لا ينفع مال ولا جاه، بل سلامة القلب، كما قال تعالى:

((يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ))
الشعراء: 88-89

وقد قال النبي ﷺ:
"لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى" (رواه أحمد وغيره)

أشرف لقب يمكن أن يحظى به الإنسان هو "عبد الله"، ولهذا فقد خصّ الله نبيه محمدًا ﷺ بهذا اللقب في أعظم المواضع:

((سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِیٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِی بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَـٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ..)) الإسراء: 1

((ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِیٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَـٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ..)) الكهف: 1

((تَبَارَكَ ٱلَّذِی نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا)) الفرقان: 1

((وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا..)) الجن: 19

وسيتم في الأقسام التالية تناول الجوانب الثلاثة لمفهوم العبادة:

1. العناصر الأساسية للعبادة.
2. معايير الجودة في أداء العبادة.
3. العوائق التي تعيق أداء العبادة على الوجه المطلوب.

من الضروري أن نُعرّف العبادة على النحو الذي يريده الله تعالى، بوصفه السيّد الواحد، من عباده، وهو: الطاعة الكاملة لأوامره، على أن تكون هذه الطاعة مدفوعةً **بالحبّ والامتنان** له، والثقة بأنه لا يأمر إلا بما فيه خير لنا. وبناءً عليه، يمكن تعريف العبادة بأنها أي عمل يتحقّق فيه أربعة عناصر:

1. الطاعة
2. الحب
3. الشكر
4. الثقة

وهذا التعريف يوافق ما قاله عدد من العلماء، فقد قال الإمام ابن تيمية:
"العبادة اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة".
وقال ابن القيّم:
"العبادة هي غاية الحب مع كمال الذل" .

طاعة الله

جوهر العبادة هو **الطاعة**، لأنها تُثبت العلاقة الأساسية بين العبد وربّه. ورغم أن الله تعالى لا يستفيد من طاعتنا، إلا أنه لا يريد طاعة شكلية، ولا مدحًا مصطنعًا، ولا طقوسًا ميكانيكية خالية من المشاعر. كما لا يقبل الطاعة المترددة أو الجزئية.

الله وهبنا المشاعر لنُطيعه بصدقٍ وإخلاص، لا بتكلّف وتمثيل. الطاعة الحقيقية هي أن نُنفّذ أوامر الله بحب ورضا وحماس، لا بتثاقل. قال الله تعالى عن المنافقين:
((وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى)) النساء: 142

الطاعة تمتدّ إلى ما هو أوسع من العبادات الشكلية (كالصلاة والصيام والحج...)، فالعبادات هي وسائل لتزكية النفس حتى نتمكن من تنفيذ أوامر الله في كل شؤون الحياة. ولهذا قال الله تعالى:

((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) الأنعام :162

مفهوم الاستسلام

الطاعة الكاملة لا تكون إلا **بالاستسلام التام** لله، أي تنفيذ أوامره حتى دون معرفة الحكمة منها. هذا الاستسلام هو مصدر القوة والحرية الحقيقية، لكنه ليس استسلامًا سلبيًّا أو خمولًا أو تعطيلًا للعقل، بل هو تسخير للعقل لفهم أوامر الله والعمل بها.

ومن أعظم نماذج الطاعة ما فعله نبي الله إبراهيم، حين أمره الله سبحانه بترك زوجته هاجر وابنه إسماعيل في الصحراء، ثم أُمر بذبح ابنه. وقد استجاب، وكذلك استجاب إسماعيل بكل رضا، فقال:

((فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين)) الصافات: 102

الطاعة الكاملة

أن تُطيع الله كما أمر، بالطريقة التي حدّدها، في الوقت الذي عيّنه، دون تأخير أو مماطلة، ودون اعتراض أو شرط أو طلب تفسير. فالله لا يُلزَم بتبرير أوامره، وقد قال تعالى:

((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا...)) الأحزاب: 36

((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))
النساء: 65

أما الطاعة الجزئية، أي اتباع بعض الأوامر وترك بعضها، فهي مرفوضة بشدة. قال الله:
((أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ...)) البقرة: 85

الطاعة في جميع مجالات الحياة

العبادة لا تقتصر على الشعائر، بل تشمل المعاملات، والصدقات، والمواقف في المصاعب. قال الله:

((لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ..)) البقرة: 177

التسبيح من أركان العبادة، وذُكر أكثر من 80 مرة في القرآن:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) الأحزاب: 41-42

((فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ(98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)) الحجر: 98–99
ولكي نسبّح الله حقًا، يجب أن نتأمّل في خلقه، كما قال:

((أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30) وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)) الأنبياء: 30-31

((إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) البقرة: 164

((إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ)) آل عمران: 190

بل إن جميع المخلوقات تسبّح، وإن لم نفهم تسبيحها:

((تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)) الإسراء: 44

((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.)) الحديد: 1

إتقان العمل عبادة

من صور الطاعة استخدام المواهب في إعمار الأرض، فكل عمل نافع يُتقَن يُعد عبادة.
قال النبي ﷺ:
" إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".
(أخرجه أبو يعلى والطبراني، عن عائشة رضي الله عنها)

وسُئل عن الإحسان، فقال:
" الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"

وقد شجّع على الزراعة:
"ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"

وعلى الصناعة:
" ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده".

وعلى التجارة:
"التاجر الصدوق يُحشر مع النبيين والصديقين والشهداء"

الطاعة سبيل محبة الله

قال الله سبحانه وتعالى: ((وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)) النساء: 69
((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ)) آل عمران: 31-32

محبة الله

محبة الله أمر جوهري لتحقيق الطاعة الكاملة. فـالخوف قد يُنتج شيئًا من الطاعة، لكنه لا يُنتج الطاعة الكاملة. جميع أوامر الله تصبُّ في مصلحتنا، لأنها صادرة عن محبته لنا، ولذلك يجب أن تكون محبتنا له أمرًا طبيعيًا ومتوقَّعًا.

ولمن يتمرّد على أوامر الله، فإن الله لا يتردد في أن يستبدله بغيره، ممن يحبهم ويحبونه:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)) المائدة: 54
تُظهر هذه الآية أن محبة الله لعباده تسبق محبتهم له، ولذلك ينبغي أن تكون محبّتنا لله أعظم من محبتنا لأي شيء آخر. قال تعالى:
((قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين)) التوبة: 24

ويُقارن الله بين المؤمنين وغيرهم فيقول:

((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ)) البقرة: 165
المحبة ليست مجرد شعور عاطفي، بل التزام يُترجم إلى عمل. فمحبتنا لله تظهر من خلال طاعتنا له، ومحبة الله لنا تظهر في عونه وهدايته المستمرة لنا.

وقد ورد في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الله قال: من عادَى لي وليًا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه..." (رواه البخاري)

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله عشرة أسباب تُورِث محبة الله وتجعل العبد يُحبُّ ربَّه:

1. تلاوة القرآن مع تدبُّر معانيه.
2. الإكثار من النوافل بعد الفرائض.
3. قيام الليل والدعاء والاستغفار.
4. ذكر الله في كل الأحوال بالقلب واللسان والعمل.
5. تفضيل ما يحبّه الله على ما تحبّه النفس.
6. تعلّق القلب بأسماء الله وصفاته.
7. التفكّر في نِعم الله الظاهرة والباطنة.
8. الخشوع والخضوع لله بالقلب والجوارح.
9. صحبة الصالحين المخلصين.
10. الابتعاد عن كل ما يحجب القلب عن الله.

محبتك لله تظهر جليًّا في طريقة استجابتك للابتلاءات.

فالمحب الحقيقي يرى في كل ألم أو مصيبة أو مرض رسالة حب من الله، تُعينه على تحقيق الغاية من وجوده، فيرضى بها ويطمئن.

ومن علامات محبتنا لله: مدحه والثناء عليه، والرجوع إليه بالتوبة. فحين نعلم أن الله يرى ويسمع كل شيء، فإن محبته في قلوبنا تمنعنا من فعل ما يُغضبه.

ولأن الله يعلم ضعفنا، فقد شرع التوبة، لتكون وسيلة تمكّننا من محو أخطائنا. التوبة تشبه "أداة تحرير الفيديو" التي تمكّنك من حذف مشاهد الخطأ من حياتك. وهذا من رحمته ومحبته لعباده، لأنه لا يريد لهم الفضيحة يوم القيامة.

يقول تعالى:
((ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))
التوبة: 118

وبذلك، تُصبح التوبة طريقًا مباشرًا للمغفرة، وتُلغي مفاهيم مثل "الخطيئة الأصلية" التي سببت كثيرًا من اللبس في الأديان الأخرى. فآدم عليه السلام، كغيره من البشر، غُفِر له بذاته، لا من خلال وسيط:

((فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)) البقرة: 37

أما الذين ارتكبوا كبائر الذنوب، فإن باب التوبة مفتوح لهم أيضًا، بل إن الله يُبدّل سيئاتهم حسنات:

((يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)) الفرقان: 69-70

محبة الله إذن ليست شعورًا سلبيًا، بل سلوك يومي، يتجلى في الطاعة، والرضا، والدعاء، والعودة إليه كلما زلّت القدم.

الشكر لله

التعبير عن شكرنا وامتناننا لله عنصر أساسي في العبادة. فأول آية في القرآن الكريم هي:
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: الحمد (الثناء والشكر) لله رب العالمين.

وكان النبي ﷺ يُكثر من شكر الله طيلة حياته، ويدعو أصحابه إلى دوام الشكر. ومن وصاياه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه:

" يا معاذ، أوصيك ألا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"
(رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة)

الشكر لله يُدخل السرور في القلوب ويزيد النعم، كما قال تعالى:
((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)) إبراهيم: 7
وبالتالي، فالشكر يعود نفعه علينا، كما قال لقمان عليه السلام:

((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)) لقمان: 12

الشكر لا يكون باللسان فقط، بل بالأفعال أيضًا .قال تعالى:
((ٱعۡمَلُواْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)) سبأ: 13

وفي هذه الآية يأمر الله آل داوود بأن يُعبروا عن شكرهم بالأعمال، وليس بالكلام فقط. ويشمل الشكر العملي الجوانب التالية:

1. نسبة النعم إلى الله وحده.
2. استخدام النعم في طاعة الله ووفق أوامره.
3. عدم الانشغال بالنعم عن الله.
4. عدم التكبر على الآخرين بالنعم.
5. شكر الله والثناء عليه على نعمه.

ومن أعظم أشكال الشكر ألا نُهدر المواهب والفرص والقدرات التي منحنا الله إياها، بل أن نُسخّرها لخدمة الناس. وقد خلق الله الناس بقدرات مختلفة ليتكاملوا، لا ليتفاضلوا، وهو يُراقب كيف نستخدم ما منحنا من قدرات.
وقد صوّر النبي ﷺ هذا التكامل في حديثه:
" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا." (رواه البخاري)
والشخص الذي لا يُوظّف علمه ومواهبه بشكل كامل يترك ثغرة في بناء المجتمع، مما يُهدّد استقراره. ولهذا قال ﷺ:

" إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه."
(رواه أبو يعلى والطبراني)

التوكل على الله

التوكل الكامل على الله هو عنصر أساسي في العبادة. ومعناه: الثقة الكاملة بأن الله يعلم ما هو خير لك، وأنه سيعينك عند الشدة، ولن يُحمّلك فوق طاقتك.
ويظهر التوكل من ردّة فعل المسلم عند المصائب، حيث قال تعالى:
((قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ)) التوبة: 51

ويجب أن نُوقن أن كل ما يقدّره الله لنا فيه خير، وإن خفيت عنا حكمته، كما قال تعالى:

((فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا)) النساء: 19

وقال أيضًا:

((وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)) البقرة: 216

فإدراك أن كل مصيبة أو تأخر أو محنة فيها خيرٌ لنا هو سِرّ صبر المؤمنين وتميّزهم في نظرتهم للابتلاءات. قال تعالى:
((وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (155) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (156) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ))
البقرة: 155–157

وقد علّمنا النبي ﷺ ما نقوله عند المصيبة:
"ما من عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها."

المال كاختبار للثقة بالله

يُعد المال من أعظم الاختبارات التي يبتلي الله بها عباده ليمتحن ثقتهم به. ولدى كثير من الناس، يُعد المال أصعب اختبار.
ويُقال: "لا يمكن أن تعبد الله والمال معًا"، فقلبك سيتبع ما تعتز به وتُعظّمه. وقد جعل الله المال وسيلةً لاختبار كل مسلم، بأن جعله ركنًا من أركان الإسلام الخمسة، وهو الزكاة.

فكيفيّة إدارتك للمال الدنيوي تُعبّر عن حال ثروتك الروحية.
سيأتي وقت يندم فيه الإنسان على فوات فرص الإنفاق في سبيل الله، ولكن بعد فوات الأوان. قال تعالى:
((وَأَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ))
المنافقون: 10

وعندما تُعرض عليك فرصة للإنفاق وتُمسك، فإنك تخسر لنفسك، لا لغيرك. قال تعالى:

((هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ))
محمد: 38
وقد حذرنا الله من خدعة الشيطان الذي يُخيفنا بالفقر لنمنع أنفسنا من الإنفاق، فقال:

((ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)) البقرة: 268

ولأن الله يعلم أن الشيطان يُثير فينا الخوف من الفقر، فقد أكّد في كتابه أن من يُنفق في سبيله لن يخسر، بل سينال الخير في الدنيا والآخرة:
((وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ)) آل عمران: 133- 134

والإنفاق في سبيل الله هو استثمار مضمون بعائد مضاعف. قال الله تعالى:
((مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)) البقرة: 261

وإن كنت لا تُنفق بسبب ضيق ذات اليد، فالله يطمئنك بقوله:

((وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)) الطلاق: 2-3

فمن يتوكل على الله ويُنفق مما رزقه، فإن الله يرزقه من حيث لا يتوقع، لأن المال الذي بين يديك أمانة من الله، والمصادر التي تُرزق منها لن تنفد.
وقد قال النبي ﷺ:
عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" ثلاثة أُقسم عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر..." (رواه الترمذي)

معايير جودة العبادة الصحيحة

إن العبادة الصحيحة لا تتحقّق إلا بتحقيق شرطين أساسيين: الإخلاص والصواب، أي أن تكون خالصة لله وصحيحة على منهج رسول الله ﷺ. وهذا يعني أن العبادة تستوجب تفعيل القلب والعقل معًا.

الإخلاص

لا تُقبل العبادة عند الله إلا إذا كانت خالصة لوجهه الكريم، وليست مجرد أقوال جوفاء لا يعكسها القلب. فالثناء المزيّف والمدح القلبي الخالي من الصدق لا قيمة له. يقول الله تعالى:

((قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ)) الزمر:11-12

فالله لا ينظر إلى الظاهر، بل إلى النوايا والقلوب. وقد أشار النبي ﷺ إلى صدره وقال
:**"التقوى ها هنا ".**

وقال ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم" (رواه مسلم).

ويؤكد الله تعالى أن القلب السليم هو مفتاح النجاة يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء: 88-89

الصواب

لعبادة يجب أن تكون كما أمر الله، لا كما يهوى الإنسان أو يُريح نفسه. فلا يجوز اختراع أشكال جديدة للعبادة. لا تُقبل العبادات إلا إذا وافقت **القرآن** و**السنة** .ولهذا أكّد العلماء أن العبادات التوقيفية لا تُؤخذ إلا من هدي النبي ﷺ، وكل ما يُخالف ذلك فهو **بدعة**.

قال الإمام البخاري في "كتاب العلم :
" باب: العلم قبل القول والعمل ." فلا عمل يُقبل دون علم، والعلم هو البوصلة التي توجه العمل. قال الله تعالى:

((يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) المجادلة:11

وقال ﷺ:
" فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب"
(رواه الترمذي وأبو داود وغيرهم)

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه:
" تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، وَمُذَاكَرَتَهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً ، وَهُدَاةً يُهْتَدَى بِهِمْ ، وَأَئِمَّةً فِي الْخَيْرِ تُقْتَصُّ آثَارُهُمْ ، وَتُرْمَقُ أَعْمَالُهُمْ ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ ، إِمَامُ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ ، قَالَ : تَابِعُهُ ، يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ ، وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِيَاءُ"
رواه أبو نعيم في الحلية.

وقال الحسن البصري رحمه الله:

(العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا)
[جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر]

وقد حذّر النبي ﷺ من الجهل والاندفاع غير المنضبط:
عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
" سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة.
[مسلم].

العوائق أمام العبادة الصحيحة

توجد أربع عوائق رئيسية تمنع تحقق العبادة كما أرادها الله:

الكِبر

وهو أخطرها، فقد منع إبليس من السجود لأمر الله:
﴿فَسَجَدُواْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ البقرة: 34

وقال ﷺ:
عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر (رواه مسلم وأحمد وغيرهما)

الخوف

الخوف الطبيعي من المجهول لا يُلام عليه الإنسان، ولكن الخوف الذي يمنع الطاعة ويدفع إلى المعصية يُعد خللًا في الثقة بالله. ومن مظاهر هذا الخوف: الخوف من الفقر، أو على مستقبل الأولاد.

قال الله تعالى: ((وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ))
الذاريات: 22-23

وقال سبحانه:
((وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)) النساء: 9

قلة الالتزام

كثيرون يتمنون عبادةً خالصة، ولكنهم يؤجلونها، يغرهم طول الأمل. قال تعالى:
((أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ.)) الحديد: 16

وقال ﷺ:
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلي الله علية وسلم لرجل وهو يعظه :
" اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك ". [رواه الحاكم]

الجهل

الجهل هو سبب رئيسي لفساد العبادة. ومن لا يسعى لتعلم دينه، يتبع غيره على غير هدى. قال الله تعالى:
((وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا)) الإسراء: 36

وقال ﷺ:
"من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة" (رواه البخاري)
توجد عوائق أخرى تعترض العبادة، لكنها غالبًا تندرج تحت هذه الأربعة.

الخلق الإسلامي في ظلال أسماء الله الحسنى

الأساس للإجابة

السؤال الرابع: ما هي الصفات والخصال التي ينبغي علينا التحلي بها لنُحقّق دورنا وغرضنا من الوجود على الأرض؟

الإجابة الواضحة هي أن نقتدي بصفات من تحلّى بأكمل الأخلاق، وأدّى دوره، وحقق الغاية من حياته. وقد حدّد الله لنا هذا النموذج الأمثل في شخص النبي محمد ﷺ، حيث قال:

((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) الأحزاب: 21.

وقد ورد أن أنبياء آخرين يُعدّون أيضًا قدوة حسنة، لكن لا توجد سيرة موثقة تفصيلية لأحد منهم كما هي للنبي ﷺ. ومع ذلك، أمرنا الله بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام وأتباعه، خصوصًا في موقفهم من المشركين، كما قال:

((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ...))
الممتحنة: 4

((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ)) الممتحنة: 6

لكن كيف نُحدّد الصفات الأساسية في شخصية النبي ﷺ لنتأسى به؟
يجب أن تتصل هذه الصفات بدور النبي ﷺ وسائر الأنبياء على الأرض، والذي يتمثل في أنهم خلفاء الله في الأرض .قال تعالى:

((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) البقرة: 30

وتجلّى هذا الدور بوضوح في أمر الله لداوود عليه السلام أن يحكم بالحق، فقال:
((يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)) ص: 26

ولما سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، أجابت:
" كان خُلُقُهُ القُرآن" (رواه مسلم)

وأهم ما يقدمه القرآن من معارف هو التعريف بالله وأسمائه وصفاته. فاسم "الله" وحده ذُكر أكثر من (1400) مرة، بالإضافة إلى عشرات الصفات الأخرى. وتكاد لا تخلو آية من ذكر صفاته في سياق الوعد والوعيد أو التشريع. لذلك، فإن فهمنا للقرآن لا يكتمل دون تدبر هذه الأسماء ومعانيها.
ومن هنا، فإن أفضل وسيلة لتقويم شخصياتنا وتحقيق دورنا في الحياة هي دراسة أسماء الله الحسنى والعمل على التخلّق بها، كما بيّن النبي ﷺ في الحديث:

" إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ" (رواه البخاري).

لكن ما معنى "أحصاها"؟

الكلمة لا تعني مجرد "عدّها"؛ لأن الله فرق بين "أحصى" و"عدّ" في قوله:
﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا (93) لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴾ مريم:93- 94

وقد فسر العلماء "أحصاها" بأنها تشمل:
1. حفظها
2. فهم معانيها
3. العمل بمقتضاها والتخلّق بها

كما قال ابن عباس وغيره من العلماء.

وقد لخّص الإمام الغزالي في كتابه *"المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى"* درجات الانتفاع بأسماء الله في ثلاث مراتب:

1. فهم الأسماء ومعانيها حتى يبلغ حد اليقين
2. الإعجاب بصفات الجلال والرغبة في التخلّق بها
3. السعي لاكتساب ما يمكن من هذه الصفات

وقال:
" اعلم أن من لم يكن له حظ من معاني أسماء الله عز و جل إلا بأن يسمع لفظه ويفهم في اللغة معنى تفسيره ووضعه ويعتقد بالقلب وجود معناه في الله تعالى فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله. لكن حظوظ المقربين من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة:

الحظ الأول معرفة هذه المعاني حتى ينكشف لهم اتصاف الله عز و جل بها انكشافا يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان.
الحظ الثاني هو استعظامهم لصفات الجلال على وجه ينبعث من الاستعظام يشوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان .

الحظ الثالث السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها وبه يصير العبد ربانيا أي قريبا من الرب تعالى وبه يصير رفيقا للملأ الأعلى من الملائكة ".

وهكذا، فإننا نُصبح "عبادًا ربانيين" ونقترب من الله بالصفات.

وقد قسّم العلماء أسماء الله الحسنى إلى ثلاث مجموعات:

1. **صفات الجمال** :كالرحيم، الغفور، السلام، الودود...تغرس المحبة والرجاء.
2. **صفات الكمال** :كالعزيز، الحكيم، الخالق، الصمد...ترسّخ الإيمان بكمال الله المطلق.
3. **صفات الجلال** :كالجبار، القهار، المنتقم...تغرس الخشية والتقوى.

والمؤمن العاقل هو من يخاف صفات الجلال، ويطمئن لصفات الجمال، ويتخلّق بصفات الكمال.
وقد دعا النبي ﷺ بقوله:
"اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ"

وقد قال الله تعالى:
﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الأعراف: 156

وقال النبي ﷺ:
" إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ ". (رواه البخاري)

علينا إذًا أن نتعلّم معاني أسماء الله ونحاول تطبيقها في حياتنا. ولكن يجب أن نعلم أن صفات الله لا تُشبه صفات البشر، كما قال تعالى:

((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) الشورى: 11

فلسنا نُشابه الله في الصفات، بل نقتدي بجوانب المعنى، ونحن نعلم أن كمال الله لا يُدرك.
وقد عبّر النبي ﷺ عن هذا في دعائه:

"اللَّهُمَّ إني لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ" (رواه مسلم)

في القسم التالي ، سنتناول عددًا من أسماء الله الحسنى، ونوضح كيف تُعبّر عن الله عز وجل، وكيف يُمكن أن نتخلق بها في شخصياتنا ونعكسها في سلوكنا، لنكون خلفاء الله حقًّا في الأرض وعبادًا ربانيين.

الله – الاسم الأعظم

عند احتساب اسم "الله" مرة واحدة فقط في البسملة، فإن اسم "الله" قد ورد في القرآن الكريم **2930 مرة** .ولأي إنسان أن يدخل الإسلام، يجب أن يُقرّ ويشهد قائلًا" :لا إله إلا الله، محمد رسول الله."

"الله" ليس إلهًا شرقياً أو عربياً كما يظن البعض في الغرب. بل هو الاسم الشخصي **لله الواحد الذي يعبده اليهود والنصارى والمسلمون** في جميع أنحاء العالم. ففي النسخة العربية من الكتاب المقدس، يُستخدم اسم "الله" للإشارة إلى الخالق.

وعلى عكس كلمة "god" في اللغة الإنجليزية، التي تقبل التذكير والتأنيث كـ "god"و"goddess"، وتُستخدم بصيغة الجمع مثل"gods" ، فإن كلمة "الله "لا تقبل التذكير أو التأنيث، ولا تُجمع، وهذا ما يجعلها الاسم الأنسب للإشارة إلى الذات الإلهية العليا المنزهة عن أي شبيه أو مثيل.

والسبب الأهم في استخدام المسلمين لكلمة "الله" هو أن **الخالق نفسه عرّفنا بهذا الاسم**، كما في قوله تعالى:
((إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِذِكْرِي))
طه: 14

اسم **"الله "**هو الاسم الجامع لكل الصفات الإلهية، بينما كل اسم من الأسماء الحسنى الأخرى يدل على صفة واحدة من صفات الله. و"الله" اسم **علم خاص** لا يُطلق على أحد غيره، لا حقيقة ولا مجازًا، لا في الجاهلية ولا في الإسلام.

ومن رحمة الله بنا أن عرّفنا بهذا الاسم وعلّمنا أن نبدأ أعمالنا به، وإلا لكان علينا أن نبدأ كل فعل بأسماء الصفات المناسبة لذلك الفعل. فمثلًا، من يريد البدء في عمل مالي، قد يقول: "بسم الرزاق، المغني، السميع، المجيب، القادر". لكن بفضل الله، نقول ببساطة : "بسم الله" .

تأثيرات هذا الاسم العظيم

- أن نبدأ كل أعمالنا بذكر اسم "الله"، فإذا اعتدنا على ذلك، لن نبدأ عملًا يُغضبه، وسنعتاد مراقبته في كل أفعالنا.

- أن نُدرك خصوصية هذا الاسم وقداسته، وأنه لا يُطلق إلا على الله، وأن علينا أن نختار أسماء طيبة لأولادنا لا تحمل معاني مذمومة أو مهينة.

وقد قال النبي ﷺ:
" إنكم تُدْعَون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم" (رواه أبو داود)

وقال أيضًا: "من حق الولد على الوالد ثلاثة: أن يُحسن اسمه إذا وُلِد، ويُعلّمه الكتاب إذا عقل، ويُزوّجه إذا أدرك"

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:
" تَجِبُ للوَلَدِ على والِدِهِ ثلاثُ خِصالٍ: اختِيارُهُ لِوالِدَتِهِ، وتَحسينُ اسمِهِ، والمُبالَغَةُ في تأديبِهِ"
وفي الأقسام القادمة، سنتناول عددًا من أسماء الله الحسنى، ونوضح كيف تُعبّر عن الله عز وجل، وكيف يُمكن أن نتخلق بها في شخصياتنا لنُمثّل الله حقًا في الأرض، ونكون عبادًا ربانيين.

الرحمن

التفسير التقليدي لاسم الله "الرحمن" أنه يدل على رحمته الشاملة لكل الخلق في الدنيا، سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين. ولتمييز هذا الاسم عن "الرحيم"، قال بعض المفسرين إن "الرحيم" يدل على رحمة الله الخاصة بالمؤمنين في الآخرة.

لكن حصر اسم "الرحمن" في معنى الرحمة فقط هو تفسير قاصر، ناتج عن اعتماد بعض المفسرين والمترجمين على المعاجم اللغوية دون الرجوع لاستخدام الاسم في القرآن الكريم. والأصل أن يُفسر المصطلح القرآني من خلال سياقات استعماله في القرآن أولًا، ثم يُرجع إلى اللغة إذا لم يُذكر إلا مرة واحدة أو لم يُفصل في مواضع أخرى.

عند تأمل ورود اسم "الرحمن" في القرآن، نجد أنه - باستثناء البسملة في كل السور عدا الفاتحة - ورد 57 مرة. ومن خلال هذه الآيات، يظهر أن اسم "الرحمن" يشمل كل صفات الله الأخرى؛ صفات الخلق، والوحي، والهيمنة، والرحمة، وحتى العقوبة. لذا من الصعب ترجمته بكلمة واحدة، لأنه الاسم الوحيد الذي يمكن أن يحل محل اسم "الله" في أي آية. قال تعالى:

((قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)) الإسراء: 110

كما أن "الرحمن" هو الاسم الوحيد الذي يمكن التلفظ به في صيغة التوحيد: "لا إله إلا الرحمن"، كما نقول "لا إله إلا الله". قال تعالى:

((كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ)) الرعد: 30

وأكد النبي ﷺ في الحديث القدسي:
" أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتّته."(رواه الترمذي وأبو داود وأحمد)

أمثلة على استخدام اسم "الرحمن" في القرآن

1- في سياق صفات الخلق والسيطرة:

((ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ (5) لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ)) طه 5-6

((ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ)) الملك: 3

2- في سياق التهديد والعقاب:

((يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا)) مريم: 45

((قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا)) مريم:75

((إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ)) يسٓ: 11

((وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ)) الزخرف: 36

3- في سياق الملك والهيمنة:

((إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا)) مريم: 93

((يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا)) طه:108

((وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلٗا (25) ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا)) الفرقان:25-26

((رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا (37) يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا))
النبأ: 37-38

كيف نتخلق باسم "الرحمن" في سلوكنا وشخصيتنا

1. **التوازن الشخصي**: اسم "الرحمن" يجمع في معناه كل صفات الله؛ لذا علينا أن نسعى لتكوين شخصية متوازنة تشمل اللين والحزم، الرحمة والعدالة، التسامح والحكمة :ينبغي للمؤمن أن يتصف بالرحمة، والعطف، والعدل، والصدق، والحكمة، والتسامح، والكرم، إلى جانب الحزم والانضباط عند الحاجة.

2. **الحكمة في الموضع**: بعض الصفات قد تبدو متعارضة، ولكن الحكمة تكمن في معرفة متى نُظهر كل صفة وفي أي سياق.

3. **الاحترام لاسم "الرحمن"**: لا يجوز تسمية أحد بهذا الاسم مجردًا، بل بصيغة "عبد الرحمن". ومن يختصر الاسم إلى "رحمن" فقد يقع في التسمية المحرّمة. وقد فعل ذلك "مسيلمة الكذاب" الذي سمّى نفسه "رحمن اليمامة."

الرَّحِيمُ

اسم الله "الرَّحِيمُ" ومشتقاته مثل "رحيم" بصيغة التنكير، ورد في القرآن الكريم 114 مرة، منها ست مرات اقترن فيها باسم الله "الرَّحْمَنُ"، وفي باقي المواضع اقترن بأسماء أخرى لله تعالى.

ومن أعظم إعجازات القرآن الكريم إيجازه وتركيزه، إذ بدأ بأهم رسالة، وهي التعريف بالله تعالى. فكانت أول آية في سورة الفاتحة هي: ((بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ)) الفاتحة: 1

في هذه الآية، اجتمع الاسم الخاص بالله "الله"، مع الاسم الجامع لجميع صفاته "الرَّحْمَن"، وتُوِّج هذا الجمع بالصفة الأساس، وهي "الرَّحِيم"، تأكيدًا على أن كل أفعال الله وعدله وقوته تدور في فلك رحمته. قال الله تعالى:
((عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ))
الأعراف: 156

وقال رسول الله ﷺ:
" إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قبلَ أن يخلُقَ الخلقَ: إنَّ رحمتي سبقت غضبي، فهوَ مكتوبٌ عندَهُ فوقَ العرشِ"
(البخاري)

وقال أيضًا:
" إنَّ اللَّهَ جعلَ الرَّحمةَ مائةَ جزءٍ، فأمسكَ عندَهُ تسعةً وتسعينَ، وأنزلَ في الأرضِ جزءًا واحدًا، فمن ذلكَ يتراحمُ الخلقُ، حتَّى ترفعَ الفرسُ حافرَها عن ولدِها خشيةَ أن تُصيبَه"
(البخاري)

ومن رحمة الله عز وجل أنه شرع التوبة لمن أخطأ وتجاوز، فقال:
((قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ))
الزمر: 53

واسم الله "الرَّحِيم" غالبًا ما يُذكر مقترنًا باسم "الغفور"، في 74 موضعًا، كما ورد أيضًا 13 مرة مقترنًا بـ "العزيز"، لتأكيد أن رحمته ليست تفويضًا للذنوب بلا حساب، بل هي رحمة مقترنة بالحكمة والعدالة، ومن ذلك:
((إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا)) النساء: 48

((وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنۡ قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الۡخَاسِرِينَ)) الزمر: 65

ومن رحمته سبحانه أن الحسنة تُضاعف عشر مرات، بينما السيئة لا تُجزى إلا مثلها:
((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)) الأنعام: 160

بل إن السيئة تُمحى بالحسنة، كما في قوله تعالى:
((وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)) هود: 114

وأحيانًا تُبدّل السيئات حسنات:
((فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ)) الفرقان: 70

لكن التباهي بالعمل الصالح أو إيذاء من أُسدي إليه الإحسان يبطل الأجر:

((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ)) البقرة: 264

ومن رحمته أنه يُجازي على النية؛ فنية الخير يُؤجر عليها وإن لم تُنفذ، وإن تُركت السيئة لله كُتب أجر، ففي الحديث القدسي:

" إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل ، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها ، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها ، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به ، فقال: ارقبوه ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة ، فإنما تركها من جرَّاي." (البخاري ومسلم)

ومن الأمثلة الرائعة ما ورد عن راعٍ من بني إسرائيل :
" قد جاء في الأثر أنه قد أصاب بنيِ إسرائيل زمن موسى عليه السلام فاقة ومجاعة، وأنَّ راعياً بسيطاً نظرَ إلى الجبال حيث يرعى غنم الناس، وقال: اللهم إنك تعلمُ أنه لو كان لي مثل هذه الجبال ذهباً لتصدقتُ بها على عبادك! فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يا موسى قُلْ لعبدي أني قبلتُ منه صدقته".

ورسالة النبي ﷺ كانت رحمة للعالمين:
((وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ)) الأنبياء: 107
وكان يقول:
" يا أيها الناس، إنما أنا رحمةٌ مهداة" (البخاري)
" من لا يَرحم لا يُرحم" (البخاري ومسلم)

وكان يطبق ذلك في حياته؛ فعند استشهاد عمّه حمزة في أحد، قال" :اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"وعند فتح مكة، عفا عن من آذوه.

كيف نتخلق باسم "الرحيم" في سلوكنا وشخصيتنا

1. أن نربط أعمالنا بالرحمة حتى مع من يسيء إلينا.
2. أن نُظهر الرحمة مع العصاة والمقصرين بالسعي لهدايتهم.
3. ألا نُعرض عن أي محتاج، بل نُعِينه بما نستطيع، أو ندعو له إن عجزنا.

الملك

اسم الله "الملك" ورد في القرآن الكريم خمس مرات في خمس آيات: طه 114، المؤمنون 116، الحشر 23، الجمعة 1، والناس 2.

الله سبحانه وتعالى هو "الملك" ولكن لا يُشبه الملوك في الدنيا من عدّة وجوه:

1. **ملوك الأرض** يملكون أراضٍ محدودة، أما الله تعالى فله مُلك السماوات والأرض وما بينهما، لا حدود لملكه.
2. **ملوك الأرض** لا يملكون كل ما في ممالكهم، أما الله فهو مالك كل شيء، وما يُنسب للناس من ملك فهو أمانة مؤقتة بيده.
3. **ملوك الأرض** لا يسيطرون على كل ما في ممالكهم، أما الله فله السيطرة التامة على كل شيء، فلا تسقط ورقة من شجرة إلا بعلمه.
4. **ملوك الأرض** بحاجة إلى رعاياهم وخدماتهم، أما الله فهو الغني بذاته، لا يحتاج لأحد، وكل من في الكون مفتقر إليه.

خمسة معانٍ تتجلى في اسم "الملك:"

1. أنه الحاكم المتصرف في كل ما في الكون.
2. أنه المالك الحقيقي لكل شيء.
3. أنه المسيطر تمامًا على كل شيء.
4. أنه غني عن كل شيء.
5. أن كل شيء بحاجة إليه.

كل ما نملكه من مال، أو صحة، أو مكانة، أو علم، فهو ملك لله، أودعه بين أيدينا كأمانة مؤقتة. يملكه ويصرفه كيف يشاء، وقد يزيده أو ينزعه متى يشاء، كما قال تعالى:

((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...)) آل عمران: 26

كان المسلمون الأوائل يدركون هذا المفهوم جيدًا، فإذا سئل أحدهم:
"لمن هذه الإبل؟" أجاب: "هي لله، أودعها في يدي".

ينبغي أن يكون هذا فهمنا لكل ما نملك: هو من عند الله، وأمانة سنُسأل عنها. لنثق بما في يد الله أكثر مما في أيدينا، ولنعتمد عليه لا على أنفسنا.

أحاديث نبوية تُرسخ هذا المفهوم:

- "من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا، أتكفل له بالجنة" (رواه أبو داود)
- لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه " (البخاري)
- "أعن أبي ذَرّ رضي الله عنه قال:
(أَمَرَنِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أنظر إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُر إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا" (أحمد)

- " عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال صلى الله عليه وسلم: ألا تبايعون رسولَ الله؟ قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! فعلام نبايعك؟ قال صلى الله عليه وسلم: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، والصلوات الخمس، وتطيعوا، ولا تسألوا الناس شيئا. قال عوف: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً يناوله إياه) " (مسلم)

قصة رمزية:

قال طالبٌ لشيخه الصالح: "أوصني".
قال له الشيخ: " كن ملكًا في الدنيا تكن ملكًا في الآخرة !
قال الطالب: وكيف أكون ملكًا؟
قال: إذا استغنيت عما في أيدي الناس، ساويتهم. وإن أعطيتهم مما في يدك، ملكتهم. فإذا أصبحت ملكًا في الدنيا، كنت ملكًا في الآخرة ".

كيف نتخلق باسم "الملك" في سلوكنا وشخصيتنا

1. **التحكم الكامل في النفس** :كن ملكًا على نفسك، تحكم في شهواتك وأهوائك، ولا تجعلها تتحكم فيك.

2. **الاستغناء عن الناس** :لا تطلب من أحد شيئًا إلا الله، أن تكون ملكًا بين الناس يعني أن تستغني عنهم وتعتمد على الله وحده. نُذكَّر بهذا يوميًا في الفاتحة: إيّاك نعبد وإيّاك نستعين. وإن اضطررت لطلب المساعدة، فلا تذل نفسك ولا تغضب إن لم تُجَب، فالبشر مجرد وسيلة، أما المصدر فهو الله وحده، وهو من يختار من يعينك ومتى..

3. **الثقة المطلقة في الله** :لا تخف من الفقر أو فقدان القوة، وكن معطاءً كريمًا واثقًا أن ما عند الله لا ينفد، وكلما أعطيت زادك الله.

القدوس

اسم الله "القدوس" ورد في موضعين من القرآن الكريم:

((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ)) الحشر: 23
((يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ)) الجمعة: 1

"القدوس" مأخوذ من الجذر "قدس"، ويعني الطهارة والتنزه عن كل نقص وعيب.

وقد قال العلماء: "القدوس هو المنزه عن صفات الكمال التي تليق بالمخلوقين"، مما يعني أن صفاته الكاملة لا يُمكن مقارنتها بصفات البشر المحدودة، وإن أُطلق نفس الاسم.

عندما أخبر الله الملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة، قالوا:

((أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...)) البقرة: 30

أي "نُنزّهك" أو "نُطهّر أنفسنا لك"، طلبًا للقرب منك.

وقد نسب الله الطهارة إلى بعض مخلوقاته:

1. جبريل عليه السلام: سُمِّي "روح القدس" لطهارته في تبليغ الوحي.
2. فلسطين: سماها الله "الأرض المقدسة."
3. الوادي الذي كلم فيه موسى: سُمِّي "الوادي المقدس."

قال الله في حديث قدسي :عبدي، طهَّرتَ منظرك للناس سنين، أفلا تُطهّر منظري لك ساعة؟

وقال النبي ﷺ: " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". (رواه مسلم)

الله يحكم بالقلوب والأعمال، لأن الأعمال الصالحة تعكس نقاء القلب.
((يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) الشعراء: 88-89

كما اهتم النبي ﷺ بالطهارة الظاهرة والباطنة، ومنها:
"الطهور شطر الإيمان" (مسلم)

"طَهِّروا هذه الأجساد، طهَّركم اللهُ؛ فإنَّه ليس من عبدٍ يبيتُ طاهراً إلا باتَ معه في شِعاره مَلَك، لا ينقلبُ ساعةً من الليلِ إلا قال: اللهم اغفر لعبدِكَ؛ فإنَّه باتَ طاهراً." (الطبراني)

"السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب" (البخاري)

مع أن طهارة القلب لها الأولوية، إلا أن الاهتمام بالمظهر الخارجي له قيمة أيضاً، اعترافًا بنعمة الله في خلقنا في أحسن تقويم. قال الله تعالى:
((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)) التّغَابُن: 3

وكان ﷺ يهتم بمظهره ويأمر بذلك، فقال:
" أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في"
(أبو داود)

"كان يحب الطيب، ويأمر به" (عائشة – رضي الله عنها)

"من اغتسل يومَ الجمعة فأحسنَ الغُسْل، وتطهَّر فأحسَنَ الطُّهور، ولبِسَ مِنْ أحسن ثيابه، ومَسَّ مَا كتَبَ الله له مِنْ طيبِ أوْ دُهْنِ أهله، ثُمَّ أتى المسجد، فلم يَلْغُ، ولم يُفَرِّقْ بينَ اثنينِ، غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأُخْرى... "
(الطبراني)

كيف نتخلق باسم "القدوس" في سلوكنا وشخصيتنا

1. تطهير القلب من الحقد، الغل، النفاق، الكبر، البخل...
2. ملء القلب بمحبة الله والشوق إلى جنته.
3. تنقية العلم من الباطل والغرور والرياء.
4. الابتعاد عن المعاصي والذنوب.
5. العناية بالطهارة الظاهرة والنظافة والهيئة.
6. تطهير الأماكن التي نزورها، والناس الذين نخالطهم، والأفكار التي نعتنقها، والأفعال التي نقوم بها.

السَّلَام

اسم الله "السَّلَام" ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الحشر:

((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ))
الحشر: 23

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:
" إن اسمَ السَّلام من أسماءِ اللهِ تعالى فأفشوه بينكم" [الطبراني]

كما كان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة يقول:
" اللهم أنتَ السَّلام، ومنك السَّلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام" [مسلم]

معنى الاسم:

اسم "السَّلَام" مشتق من الجذر (س-ل-م) الذي يدل على:
1. السلامة، الأمان، الطمأنينة، الراحة، والصحة.
2. البراءة من النقص والعيب.
3. الكمال في الصفات والطهارة من كل عيب.

ما يشمله اسم "السَّلَام:"
1. كمال صفات الله وتنزهه عن كل نقص.
2. أنه مصدر الأمان والسلام لكل مخلوقاته.
3. أفعاله خالية من الشر والظلم، بل كلها خير ورحمة وعدل.

أمثلة من خلق الله تدل على صفته "السَّلَام" .

- في جسم الإنسان :وجود كليتين بدلاً من واحدة، وموقع الشرايين العميق للحماية، وصلابة أنف الطفل لتمكينه من التنفس أثناء الرضاعة.
- في خصائص الماء :تجمده من الأعلى مما يمنع تجمد البحار كليًا ويحافظ على الحياة فيها.

مظاهر اسم "السَّلَام" في حياة المسلم:

1. التحية الإسلامية: " السلام عليكم" تحية علّمها الله لآدم، وهي تحية المسلمين حتى اليوم.
عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:
" لما خلق الله آدم -صلى الله عليه وسلم- قال: اذهب فَسَلِّمْ على أولئك -نَفَرٍ من الملائكة جلوس- فاستمع ما يُحَيُّونَكَ؛ فإنها تَحِيَّتُكَ وتحية ذُرِّيتِكَ. فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فَزَادُوهُ: ورحمة الله"
متفق عليه
قال النبي ﷺ: "افشوا السلام بينكم" [مسلم]

2. الرد على الجهل والعدوان بالسلام:
((وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا))
الفرقان: 63

3. دار السلام :الجنة هي دار السلام، دار الطمأنينة الأبدية.
((وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) يونس: 25

4. دخول الجنة بسلام:
((ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ (46) وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (47) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ)) الحجر: 46-48

((وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ)) إبراهيم: 23

5. القرآن هدى للسلام:
((...قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿15﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ...)) المائدة: 15-16

6. تحية أهل الجنة يوم القيامة:
((وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (90) فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ)) الواقعة: 90-91

7. الإسلام دين السلام:
الله هو السَّلَام، أنزل القرآن ليهدي إلى سبل السلام، ليعيش الناس في سلام، وينتهي بهم الأمر إلى دار السلام، حيث يُستقبلون بسلام، ويتبادلون السلام.

شجَّع النبي ﷺ على نشر السلام كوسيلة لدخول الجنة، فقال:
عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ."رواه أحمد والترمذي والحاكم.
وأكَّد النبي ﷺ على أهمية السلام في تحقيق المحبة والإيمان، فقال:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ." رواه مسلم.

التزام النبي ﷺ بالسلم :يتجلّى حرص النبي ﷺ على السلام في صلح الحديبية، حيث قَبِل اتفاقًا ظاهره مجحف بحق المسلمين، وذلك فقط من أجل تحقيق عشر سنوات من السلام، ما يدل على أن السلم كان مبدأً أساسيًا في دعوته ومنهجه عليه الصلاة والسلام.

فهم الشر في ضوء اسم "السَّلَام:"

أفعال الله خالية من الشر. فحتى المصائب التي تقع، فإنها لحكمة، وتفضي في النهاية إلى الخير، كما قال تعالى:
((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ..)) الروم: 41

((وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ..)) الشورى: 30

كيف نتخلق باسم "السلام" في سلوكنا وشخصيتنا

1. الطمأنينة بذكر الله:
((أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)) الرعد: 28

2. نقاء القلب من الحقد والحسد:
((يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) الشعراء: 89

3. أن نكون مصدر أمان وسلام للناس.
قال النبي ﷺ:
" المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم" (الترمذي)

4. السلوك المسالم الذي يعكس هدي الله.

المؤمن

ورد اسم الله **"المؤمن "**مرة واحدة في القرآن الكريم، في سورة الحشر:

((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ))
الحشر: 23

وقد تعددت تفسيرات العلماء لاسم **"المؤمن"**، منها: واهب الإيمان، مُصدّق عباده، ، مانح الأمان، ومُصدق وعده، وهو أيضًا من يؤمن أولياءه من الخوف، ويُطمئن قلوبهم بالإيمان.

ولفهم هذا الاسم بشكل أعمق، نعود إلى الجذر اللغوي (أ - م - ن)، الذي يدل على: التصديق، الأمان، الطمأنينة، الثقة، الحماية.

معاني "المؤمن" عند نسبته إلى الله:

1 .الله يُؤمن بذاته وصفاته
فهو سبحانه يشهد على نفسه بألوهيته، ويُثبت كمال صفاته وقدرته، كما في قوله تعالى:
((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ)) آل عمران: 18

فالله سبحانه لا يُقر بشيء إلا وهو حق ، وكل وعد وعده فهو نافذ:
((وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)) النساء: 122

على عكس البشر الذين قد يُبالغون في تقدير قدراتهم، فإن الله سبحانه وتعالى يعلم تمامًا قدرته المطلقة، ولا يَعِدُ إلا بما يقدر عليه، إذ لا يُعجزه شيء، ولا يُثقل عليه أمر. وهذا واضح في قوله تعالى:

((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)) فاطر: 44
وقوله:
((وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)) الفتح: 21

2 .الله يُصدِّق أنبياءه ويشهد لرسالاتهم

قال تعالى:
((لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)) النساء: 166
فهو سبحانه يُؤمِّن رسله، ويشهد أن ما جاءوا به من وحي هو حق لا ريب فيه.

3 .الله هو مصدر الأمان في الكون

هو الذي يؤمن عباده، ويُطمئن قلوبهم، ويحفظهم من الشرور، ويجعل الكون قائمًا على قوانين تحفظ التوازن والاستقرار،

تجلّيات اسم "المؤمن" في سيرة النبي ﷺ:

كان رسول الله ﷺ مصدر أمان وسلام للناس أجمعين، مسلمين وغير مسلمين. من أقواله في حماية غير المسلمين:
" من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا ". (رواه البخاري)

" من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة."
(رواه أبو داود)

ورغم مكانته العظيمة، كان ﷺ متواضعًا لا يميز نفسه عن الناس، بل كان يجلس بينهم، حتى إن الغريب لا يعرف من هو حتى يسأل. وقال:

" هَوِّن عليك، فإنّي لستُ بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد." (رواه ابن ماجه)

وقال أيضًا:
" من أحب أن يتمثل له الناس قيامًا فليتبوأ مقعده من النار."
(رواه الترمذي)

كيف نتخلق باسم "المؤمن" في سلوكنا وشخصيتنا

لنجعل من أنفسنا مؤمنين حقيقيين، نحتاج إلى أمرين أساسيين:

1 .أن نؤمن بأنفسنا كخلفاء لله في الأرض
فالمؤمن الحق هو من يطابق عمله قوله، ويكون صادقًا في سريرته وظاهره، لا يظهر الصلاح ويُخفي الحسد أو الرياء.

2 .أن نكون مصدر أمان وسلام للناس
قال ﷺ: " والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه."
(متفق عليه)

لذا، نجد أن القرآن كثيرًا ما يربط الإيمان بالعمل الصالح : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، لأن الإيمان بلا عمل لا يكفي.

المُهيْمن

ورد اسم الله "المهيمن" مرة واحدة في القرآن الكريم، في سورة الحشر:

((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ))
الحشر: 23

اسم "المهيمن" يدل على سلطة الله المطلقة ورعايته الشاملة لجميع خلقه، فهو المطلع على كل شيء، الحافظ، الشاهد، الرقيب الذي لا يغيب عنه شيء. يتضمن هذا الاسم ثلاث صفات رئيسية:

1 .علم الله الكامل والشامل:

يعلم الله كل شيء، ما ظهر وما بطن، ما كان وما سيكون. يقول الله تعالى:

((أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ))
التوبة: 78

((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ..))
الأنعام: 59

2 .قدرة الله المطلقة على كل شيء:

((وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))
آل عمران: 189

3 .دوام العلم والقدرة:

علم الله لا يحده زمان ولا مكان، وقدرته مطلقة لا نقص فيها ولا تغير، وهو يراقب كل مخلوق برحمة لا بجبروت.

وقد جسد النبي ﷺ هذه الرحمة حين رأى امرأة تضم طفلها وتخشى عليه، فقال لأصحابه:
«أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟» قالوا: لا، قال:
«الله أرحم بعباده من هذه بولدها» (متفق عليه)

الله المهيمن:

- حمى موسى من فرعون.
- ونجى إبراهيم من النار.
- وأخرج يونس من بطن الحوت.
- وحفظ النبي ﷺ من كيد المشركين.

في غزوة الأحزاب، حين اجتمعت قوى الكفر كلها، ووصلت الخيانة ذروتها، وقف النبي ﷺ بثقة يقول لأصحابه:
"لتفتحن الروم وفارس"، فاستنكر المنافقون، ولكن الله المهيمن نصر رسوله بدون قتال.قال تعالى:

((وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا))
الفتح: 7
((وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)) المدثر: 31

كيف نتخلق باسم "المهيمن" في سلوكنا وشخصيتنا

1. الثقة بأن كل وعد في القرآن حق، وكل خبر فيه صدق.
2. أن يكون القلب متعلّقًا بالله وحده، لا يخاف إلا منه، ولا يرجو سواه.
3. أن يسعى في تطهير قلبه من الأمراض، وعقله من الشبهات، وجوارحه من المعاصي.
4. أن يستحضر مراقبة الله له في كل لحظة.
5. أن يبادر إلى التوبة إذا وقع في خطأ، فالله يعلم السر وأخفى.
6. أن يوكل أمره كله إلى الله، ويثق أن الله لن يضيعه.
7. أن يستبشر بمستقبل مشرق ونصر قريب، إذا ثبت على طاعة الله.

العزيز

ورد اسم الله "العزيز" في القرآن الكريم 88 مرة، ومن بين هذه المواضع:

- اقترن مع "الحكيم" 56 مرة (بنسبة 64٪)،
- ومع "القوي" 7 مرات،
- ومع "الرحيم" و"العليم" و"الغفور" 5 مرات لكل منها.

ويُظهر هذا الاقتران أن "العزيز" هو المتفرد بالقوة والسيطرة، ومانح العزة والهيبة، ولكن دائمًا بحكمة ورحمة وعلم.

معنى اسم العزيز

"العزيز" مشتق من المصدر الذى يدل على الندرة والقيمة العالية:

- ما هو نادر ولكن ليس له قيمة لا يُسمّى عزيزًا.
- وما له قيمة ولكن ليس نادرًا، لا يُسمّى عزيزًا أيضًا.

فإذا اجتمعت الندرة مع القيمة العظيمة، تحقق معنى "العِزّة"، وهذا ما ينطبق على الله وحده، فهو الفريد في وجوده، العالي في قدره.

كما يدل اسم "العزيز" على القوة والغلبة الدائمة، كما في قوله تعالى:

((وَعَزَّنِي فِي الخِطاب)) – أي غلبني. ص: 23

ويأتي أيضًا بمعنى التقوية، كما في قوله:

((إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ)) أي قوّينا المرسلين بثالث. يس: 14

صفات "العزيز"

يتضمن اسم "العزيز" أربع معانٍ رئيسية:

1. الفردية والتفرّد: لا مثيل له في الوجود أو الصفات.

((قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (1) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ ۥ كُفُوًا أَحَدٌ..)) الإخلاص: 1–4

2. الحاجة المطلقة إليه :كل شيء في الوجود مفتقر إلى الله.

((الله لا إله إلا هو الحي القيوم)) آل عمران: 2

3. القدرة والغلبة المطلقة :كل ما يشاءه يقع، ولا يُغلب

((وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) يوسف: 21

4. مانح العزة ومنزوعها :يهب العزة لمن يشاء، ويسلبها ممن يشاء.

((من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا)) فاطر: 10

((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) آل عِمرَان: 26

((الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا))
النساء: 139

كيف نتخلق باسم "العزيز" في سلوكنا وشخصيتنا

لتفعيل معنى "العزيز" في حياتنا، علينا أن نطبّق هذه القيم:

1. **الإيمان بأن الله وحده هو مصدر العزّة والقوة:**
لا تتذلل لمخلوق، ولا تتوسل لإنسان فيما لا يملك
قال ﷺ : **"**اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بمقادير".

2. **مراقبة الله والحرص على طاعته:**
لا تُقلل من شأن أي معصية، فإنما عظم الذنب في من عُصي. قال ﷺ :
"كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى به جهلًا أن يعجب بعلمه".

3. **التحرر من الكبر والتفاخر:**
مهما بلغت مكانتك، تذكّر أن الله من رفعك، وهو القادر أن يضعك. قال ﷺ لرجل ارتعد عند لقائه:
"هوّن عليك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد".

4. **طلب العزة من الله لا من الخلق:**
من أراد الرفعة فليتمسك بشرع الله، وليعظم أوامره، ويترك معاصيه. ((وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)) الحج: 18

5. **تحقيق العزة في الخُلق والسلوك:**
كن عزيزًا بأخلاقك، بحلمك، بعلمك، برحمتك، لا بكبريائك.
عامل الناس بكرامة، كما أكرمهم الله بخلقه لهم.

الجبّار

ورد اسم الله **"الجبّار "**مرة واحدة في القرآن الكريم، في سورة الحشر:
((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ))
الحشر: 23

يتضمن اسم الله "الجبّار" ثلاث دلالات رئيسية، تكشف عن معاني العظمة والرحمة والهيمنة في آنٍ واحد:

1 .العالي الذي لا يُنال
"الجبّار" مشتق من الجبر، ومنه معنى العلو والرفعة. فالله سبحانه مرتفع في ذاته، لا تطاله الأبصار، ولا تبلغه الأفكار، ولا يُدركه عقل.
((لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ))
الأنعام: 103
وهو الجبّار لأنه فوق كل شيء قهرًا وسلطانًا وقدرًا، لا يبلغ أحد من خلقه مقامه، ولا يحيط به أحد علمًا.

2 .الذي يُصلِح الكسر ويجبر المنكسرين
ومن معاني الجبر: الترميم والتقويم، كما يُقال: "جبر الكسر".
فالله الجبّار هو الذي:
- يجبر القلوب المنكسرة،
- ويُصلح أحوال المظلومين والمحتاجين،
- ويُنصف الضعفاء،
- ويُعيد الأمور إلى نصابها.

قال العلماء : "الجبّار من أسماء الله يتضمن الرحمة أكثر مما يتضمن القهر".
عن النبي ﷺ: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". (الترمذي)

3 .الذي لا يُرد أمره، ويُنفَّذ حكمه

"الجبّار" أيضًا بمعنى القهّار، الذي يُجبر خلقه على ما يشاء، فلا يخرج أحد عن أمره، ولا يعترض على قضائه .فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ روى عن ربه في الحديث القدسي:
" أنت تُريد، وأنا أُريد، فإن رضيتَ بما أريد، كفيتُك ما تريد، وإن لم ترضَ بما أريد، أتعبتك في ما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد." (رواه ابن أبي الدنيا)

ومن أعظم الأمثلة على قهر الله ومشيئته:
فرعون، الذي قتل أبناء بني إسرائيل خوفًا من أن يولد فيهم من يزيل ملكه، فإذا به يُرَبّي بنفسه موسى عليه السلام، الذي سيكون سبب هلاكه!
((فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنًا)) القصص: 8

كيف نتخلق باسم "الجبَّار" في سلوكنا وشخصيتنا

من عرف أن الله هو الجبّار، فعليه أن يعكس هذا المعنى في سلوكه وتعامله، وذلك في أربع جوانب:

1.الاعتماد الكامل على الله وحده
لا تعتمد على أحد غير الله، ولا تذل نفسك لأحد من خلقه.
قال ابن القيم : "من جبرك إذا انكسر قلبك؟ من ردك إذا ضاقت بك الدنيا؟ إنه الله الجبّار".

2.عدم ظلم الخَلق أو التكبر عليهم
لا تكن جبارًا في الأرض بغير الحق، فالله الجبّار يُمهل ولا يُهمل، وينصر المظلومين ولو بعد حين.
((ولا تحسبنّ الله غافلًا عمّا يعمل الظالمون)) إبراهيم: 42

3. نصرة المظلومين، وجبر خواطر الضعفاء
كن معينًا لكل من يحتاج الدعم، وجابرًا لقلوب من حولك، تكن محبوبًا عند الله. قال ﷺ: "أحبّ الناس إلى الله أنفعهم للناس." (الطبراني)

4.السمو بالأخلاق حتى تكون مهابًا محبوبًا
ارفع نفسك بالعلم والصدق والتواضع، تكن جليلاً في أعين الناس بلا تكلف.كن جبّارًا في الحق، لا في الظلم، وكن عزيز النفس من غير كِبر.

اسم الله الجبّار يجمع الهيبة والحنان، العزة والرحمة، القهر والجبر، مما يجعل المؤمن يعيش بين الخوف من عدله والرجاء في لطفه .فمن التجأ إلى الجبّار جبره، ومن تجبّر على خلقه، قصمه الجبّار.

المُتكبِّر

ورد اسم الله **"المتكبر "**مرة واحدة في القرآن الكريم، في سورة الحشر:
((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ))
الحشر: 23

"المتكبر "هو المتعالي في ذاته، وصفاته، وجلاله، وقدره، الذي يرى كل ما سواه صغيرًا، وكل من عداه دون كماله وعظمته. وهو الذي يتعاظم عن كل نقص، ويتنزه عن كل شريك، ويتفرد بصفات الجلال والكبرياء. فكبرياء الله كمال محض، بينما تكبّر البشر نقص وادعاء باطل.

معاني "المتكبر" :

- من يتصف بالكبرياء المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد.
- من ينفرد بالعظمة، ولا يليق هذا الوصف إلا به.
- من لا يُدرك كُنهه، ولا يحيط بعظمته عقل.

وقد ورد في الحديث القدسي: قال الله عز وجل**:**
"الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار"
(رواه مسلم)

الفرق بين كبرياء الله وتكبّر البشر:

- كبرياء الله حقٌّ وعدلٌ وكمال، فهو أعظم من كل شيء، ولا يُنسب إليه النقص.
- تكبّر البشر باطلٌ وعيبٌ، لأنه ادعاء لما لا يملكون، واحتقار لغيرهم بلا حق.

وقد قال النبي ﷺ:
" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر"
(رواه مسلم)

من آثار الكِبْر في التاريخ:

- **إبليس** :أول من تكبّر، فرفض السجود لآدم وقال:
((أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ))
الأعراف: 12
فكان جزاؤه اللعنة والطرد.

- **فرعون** :تكبّر وقال:
((أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ)) النازعات: 24
فأهلكه الله وأغرقه عبرةً لمن بعده.

مواقف من تواضع النبي ﷺ رغم عظمته:

- كان ﷺ إذا دخل على أصحابه لا يُعرف بينهم حتى يسأل الغريب: "أيكم محمد؟"
- جاءه رجلٌ يَرتعد، فقال له ﷺ:
"هوّن عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأةٍ كانت تأكل القديد" (رواه ابن ماجه)

كيف نتخلق باسم "المتكبِّر" في سلوكنا وشخصيتنا

1- إدراك ضآلة النفس أمام عظمة الله:

- يؤدي إلى التواضع، والخضوع، والانكسار لله، والعبودية الصادقة.
- يحرّر الإنسان من التعلق بالمخلوقين أو طلب رضاهم.
- يُدخِل العزة الحقيقية في قلب المؤمن بتواضعه لله.

2- السعي للتميّز والنجاح، دون نسيان أن كل النعم من الله:
العمل الجاد لا ينافي التواضع، بل هو تجلٍّ للعبودية.

3- العدالة والإنصاف حتى في الغضب، وضبط النفس عن الظلم.

4- كبح الشهوات والهوى، وتقديم إرادة الله على رغبات النفس.

5- تزكية النفس وتنقيتها من العيوب، والتقرّب إلى الله بسلوك يليق بعباده الصالحين.

اسم الله **"المتكبر "**يذكّرنا بأن الكبرياء لا يليق إلا بالله، وأن العظمة الحقيقية لا تُنال إلا بالتواضع لله. فمن أراد الرفعة فليتواضع، ومن أراد العزة فليخضع لعظمة المتكبر سبحانه.
" من تواضع لله رفعه" (أحمد)

الخالِـق

تظهر أسماء الله :الخالق ، البارئ، والمصور معًا في موضع واحد في القرآن الكريم، في سورة الحشر:

((هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) الحشر: 24

ورغم أن هذه الأسماء الثلاثة ترد بأشكال أخرى في القرآن، إلا أنها ذُكرت مجتمعة كأسماء معرفة في هذه الآية.
هذه الأسماء تحمل معاني متقاربة وتُعد من المترادفات القريبة.
وفي اللغة العربية، عندما تُذكر المترادفات بشكل فردي، يمكن لكل منها أن يشمل معنى الآخر. ولكن عندما تُذكر معًا، يُقصد بها التمايز الدقيق بين معانيها - وهو أصل من أصول البيان.
فعلى سبيل المثال، في قوله تعالى:
((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ...)) التوبة: 60
رغم تقارب معنى "الفقراء" و"المساكين"، إلا أنه عندما يجتمعان يُفرّق بينهما:

- الفقير: من اشتدت حاجته (كمن يحتاج 10 دولارات ولا يملك إلا 5 دولارات).
- المسكين: من عنده بعض الكفاية لكنه لا يكفيه (كمن يحتاج 100 دولارًا ويملك 90 دولارًا).

لكن إذا ذُكر أحدهما فقط، دخل فيه المعنى الآخر، مثل:

((وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...))
البقرة: 271

وهكذا الحال مع :الخالق، البارئ، المصور، إذا اجتمعت فُرّق بينها:

- **الخالق** :الإيجاد من العدم.
- **البارئ** :الإبداع بتقدير محكم.
- **المصور** :منح الصورة والهيئة والشكل.

كما في قوله تعالى:
((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ...)) الأعراف: 11
وقوله: ((مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ)) الحديد: 22

ومع أن صفات الله لا يُقاس عليها شيء من خلقه، إلا أن القرآن يضرب لنا الأمثلة لتقريب الفهم. فكما يقول تعالى:

((ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) الروم: 28

وفي حياتنا البشرية، مراحل الإبداع تتبع ثلاث خطوات: التخطيط، التنفيذ، ثم الإتقان والجمال. أما في خلق الله، فكل هذه الأدوار يتولاها وحده: هو الخالق، والبارئ، والمصور.
يخلق المادة، ويخطط البناء، ويزينه بأبهى صورة.
لذا، يأمرنا الله بالتأمل في مخلوقاته لكشف هذه المراحل واكتشاف عظمته. فبدون التأمل والدراسة، قد يبقى الله في الأذهان مجرد فكرة نظرية معرضة للشكوك والوساوس.
فكما قال تعالى: ((لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) الأنعام: 103
نعرفه من خلال آثار صُنعه، كما نعرف البارع من خلال إتقانه، وإن لم نره مباشرة.

وهذا سبب كثرة الدعوة في القرآن إلى التأمل في الكون، كما

في قوله: ((خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ (10) هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ))
لقمان: 10-11

وفي قوله: ((أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ (27) وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ)) فاطر: 27-28

مؤكدًا أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله، لِما يرونه من دلائل القدرة والإبداع في خلق الله.
فلا فصل في الإسلام بين العلوم الدينية والكونية. بل كل العلوم التي تكشف عن إبداع الله في الخلق تُعد من فروض الكفاية، بل وأحيانًا من فروض العين، كما في مجالات الطب والهندسة والزراعة وغيرها .يقول تعالى:
((أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ (19) قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ..))
العنكبوت: 19-20
ويقول: ((ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ (3) ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ))
الملك: 3-4

كيف نتخلق باسم "الخالق" في سلوكنا وشخصيتنا

إن إدراكنا لاسم الله "الخالق" ينبغي أن ينعكس في حياتنا اليومية بخمس طرق رئيسية:

1 .**طلب العلم بالتأمل في خلق الله:**
التأمل في الكون يقودنا إلى معرفة الله. فالتطورات العلمية - من الطائرات المستوحاة من الطيور، إلى الغواصات المستوحاة من الأسماك - كلها من آثار تدبر مخلوقات الله.

2 .**تعظيم خلق الله واحترامه:**
تجنب إفساد أو تغيير خلقة الله أو العبث بها بلا حاجة، مع تقدير جمال الإبداع الإلهي.

3 .**شكر الله على خلقه لنا:**
التأمل في كيف خلقنا الله بأحسن تقويم، وكيف سخر لنا ما في السماوات والأرض.

4 .**حماية الإيمان من وساوس الشيطان:**
تذكر أن الله لا يُشبهه شيء، فهو الخالق الأزلي الأبدي، كما قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) الشورى: 11
وقد أوصانا النبي ﷺ:
" يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَنْتَهِ."
(صحيح البخاري)

5 .**التواضع أمام عظمة الخالق:**
كلما ازددنا علمًا بخلق الله، ازددنا تواضعًا وخشية.

البارئ

اسم الله "البارئ" ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الحشر، إلى جانب "الخالق" و"المصور:"
((هو الله الخالق، البارئ، المصور، له الأسماء الحسنى، يُسبّح له ما في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم)) الحشر: 24

كما ناقشنا سابقًا في "الخالق"، على الرغم من أن هذه الأسماء الثلاثة جميعها تدور حول الخلق، فإن ذكرها معًا يشير إلى أدوار متميزة:

- **الخالق** :المخطِّط والمصمِّم.
- **البارئ** :المُنفِّذ للخطة.
- **المصور** :المُكمِّل للتفاصيل والشكل النهائي.
-

ومع ذلك، عند ذكر أيٍّ من هذه الأسماء بمفرده، فإنه يشمل العملية الكاملة للخلق. على سبيل المثال:
((مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا)) الحديد: 22

الفعل "نبرأها" مشتق من "البارئ"، ويُظهر دور الله في تحويل الأمر المخطط إلى واقع - لا عن طريق الصدفة - بل وفق نظام إلهي دقيق.

وفي سورة البقرة، في الآية 54 استخدم لفظ "بَارِئِكُمْ" ليشير إلى الله باعتباره الخالق بمعناه الشامل:
((فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ)) البقرة: 54

الجذور اللغوية والدلالات:

الجذر (ب - ر- ء) يحمل عدة معانٍ في اللغة العربية:

- الإيجاد من العدم بشيء ذي قيمة.
- التنزّه عن العيب أو النقص.
- الشفاء من المرض.
- البراءة من المطالبة أو الادّعاء.
- التهذيب أو التشذيب.

تظهر هذه المعاني في تعبيرات شائعة مثل:

- براءة الاختراع.
- بريء من الذنب.
- برى القلم (شحذ القلم).
- برأ من المرض (تعافى.)

وقد استخدم القرآن هذا الجذر في قوله تعالى:

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)) البينة: 6-7

معاني ودلالات "البارئ" :

1 .الخالق من العدم وبدون سابقة:
الله -البارئ- يُخرج عناصر الخلق من العدم. فخلق الهيدروجين والهيليوم، ومنهما تكوَّنت العناصر الأخرى. ومنها جاء الماء، الذي هو أصل الحياة:
((أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)) الأنبياء: 30

2 .الشافِي والمُعافِي:
الله -البارئ- هو الشافي والمعافي:
((وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)) الشعراء: 80

3 .المدافع عن المؤمنين:
الله -البارئ- يدافع عن المؤمنين:
((إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)) الحج: 38

4 .مطهّر المجتمعات:
الله يطهّر المجتمعات من الفساد بعد الإنذار والتحذير:
((بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ)) (التوبة: 1)

5 .مزيل الفساد عند انعدام الأمل:
حينما يُغلق باب الإصلاح، يزيل الله الفساد تمامًا كما فعل مع قوم نوح:
((وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)) نوح: 26

كيف نتخلق باسم "البارئ" في سلوكنا وشخصيتنا

1 .**دراسة أسباب الكوارث:**
لأن الله -البارئ- ينفذ السنن الإلهية حين تتوفر أسبابها، ينبغي للمؤمن أن يدرس الأسباب الطبيعية للكوارث ويتخذ الحيطة.

2 .**الإتقان في التنفيذ:**
على المسلم عند تنفيذ خطة أو مسؤولية أن يُتقن الأداء ويختار أفضل السبل لتحقيق الغاية.

3 .**تطهير النفس من المعاصي:**
يجب على المؤمن أن يُطهِّر قلبه ونفسه من الذنوب والعلاقات المفسدة.

4 .**إحسان الظن وتقديم الأعذار:**
يجب أن نحسن الظن بالناس ونبحث لهم عن الأعذار. كما قال الإمام جعفر الصادق:
"إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تُنكِره، فالتمس له عذرًا إلى سبعين عذرًا، فإن لم تجد، فقل: لعل له عذر لا أعلمه".

5 .**التواضع:**
تذكُّر أصل الإنسان -من تراب- يُورث التواضع ويمنع الغرور.

6 .**أن تكون مصدر شفاء:**
كون الله هو الشافي، ينبغي لنا أن نكون مصدرًا للراحة والعون للآخرين.

المصوّر

اسم الله "المُصوِّر" ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الحشر، إلى جانب "الخالق" و"البارئ:"
((هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))
الحشر: 24

كما ناقشنا سابقًا، عند اجتماع هذه الأسماء الثلاثة في موضع واحد، يُراد إبراز أدوار متكاملة:

- **الخالق :**المُخطِّط والمُبدئ.
- **البارئ :**المُنفِّذ للخطة.
- **المصوّر :**الذي يُعطي كل مخلوق صورته وشكله وتفاصيله الفريدة.

قال الله تعالى:
((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ))
الأعراف: 11

هذا الترتيب يدل على أن "التصوير" يأتي بعد "الخلق"، ليُبرز التفرّد في الخلق الإنساني — فحتى الإخوة من أب وأم واحدين، يختلف كل واحد منهم في ملامحه وصفاته، بخلاف كثير من الحيوانات التي قد تتشابه أشكالها.

معنى "المصوّر:"

الجذر (ص- و- ر) في اللغة العربية يحمل معاني:

- التشكيل والتصميم والنحت.
- إعطاء الهيئة والشكل.
- التصوير أو التخيل.

بذلك يكون "المصوّر" هو:

- الذي يُعطي كل مخلوق صورته وهيئته الخاصة.
- الذي يُحكم التوازن والجمال في الخلق.
- الذي يُميّز كل مخلوق عن غيره بصفاته وتفاصيله الدقيقة.

قال الله تعالى:
((هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) آل عمران: 6

وقال سبحانه:
((اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)) غافر: 64

وفي موضع آخر:
((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)) التغابن: 3

وقد أكّد الله على كمال خلقه في قوله:

((الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ)) الملك: 3-4

كيف نتخلق باسم "المُصوِّر" في سلوكنا وشخصيتنا

1 .**التأمل في جمال الخلق:**
تأمل في جمال الطيور والزهور والجبال والأنهار، وسبّح الله على ما أتاح لك من لذة النظر إلى هذه الروائع. واحترم كل المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها، فهي تجليات لحكمة "المصوّر."

2 .**الرّضا بالشكل والهيئة:**
اعلم أن الله خلقك في أحسن تقويم. فكن راضيًا بشكلك، فلو كان لك من الحسن كجمال يوسف عليه السلام، فقد لا تحتمل الفتن التي تعرض لها.

3 .**التجمُّل الداخلي قبل الخارجي:**
عندما تنظر في المرآة، احمد الله على حسن صورتك، وادعُ الله أن يُحسِّن خُلُقك كما حسَّن خَلقك.

4 .**استثمار القدرات:**
قال الله تعالى :((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)) التين: 4
استخدم عقلك وجسدك ومهاراتك في طاعة الله، واسعَ إلى الإتقان.

قال رسول الله ﷺ:
"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقنه."
(رواه أبو يعلى والطبراني)

5 .عدم الالتفات إلى ما يبدو نقصًا:
قد يتساءل البعض: إذا كان الله قد أحسن كل شيء خلقه، فكيف نرى عيوبًا في بعض الخلق؟

يقول الله تعالى ((لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)) الأنبياء: 23

ما يبدو لنا نقصًا قد يكون وراءه حكمة خفية، فقد قال النبي ﷺ:
" من فقد حبيبتيه فصبر عوَّضه الله منهما الجنة."
(مسند أحمد) ويقصد بـ "حبيبتيه" عينيه.

الحكيم

يظهر اسم الله "ٱلْحَكِيمُ" في القرآن الكريم 38 مرة معرفًا بـ "ٱلـ"، و53 مرة بدونها "حكيم". وغالبًا ما يُقترن بأسماء أخرى مثل:

- العزيز
- العليم
- الخبير

قال الله تعالى:

((هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)) الحشر: 24

إن اقتران اسم "ٱلْحَكِيمُ" بأسماء "ٱلْعَزِيزُ"، و"ٱلْعَلِيمُ"، و"ٱلْخَبِيرُ" يؤكد أن حكمة الله سبحانه وتعالى مبنية على علمه التام، وقوته الكاملة، واطلاعه الدقيق على كل شيء. فكل فعل من أفعاله تعالى مبني على علم مطلق، وحكم صائب بلا خطأ.

واسم "ٱلْحَكِيمُ" مشتق من الجذر العربي (ح - ك - م) الذي يحمل معاني متعددة، منها:

- ضبط الأمور وإتقانها
- المعرفة الدقيقة بحقائق الأشياء
- الحكم والفصل بالعدل

والحِكمة تعني: وضع الأمور في مواضعها المناسبة، في الوقت المناسب، وبالطريقة المناسبة، وبالقدر المناسب، على أساس من العلم والخبرة والحكم الصائب.

واسم الله "ٱلْحَكِيمُ" يتجلى في مجالات شتى، منها:

- خلق السماوات والأرض
- تصميم الإنسان وسائر المخلوقات
- تدبير الكون وحكمته في إدارة شؤونه
- توزيع الأرزاق
- إرسال الرسل وإنزال الوحي
- الحكم بالعدل وإقامة الجزاء والعقاب

مظاهر حكمة الله تعالى:

1 .**السيادة التشريعية المطلقة:**
((أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) المائدة: 50

2 .**توزيع الأرزاق بحكمة:**
((وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ)) الشورى: 27

3 .**اتخاذ القصص التاريخية عبرة:**
((وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ)) القمر: 4-5

4 .**التصرف الكامل في شؤون العباد:**
((وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (17) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ)) الأنعام: 17-18

5 .**الإحاطة الكاملة بالعلم والاطلاع:**
((وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ)) الأنعام: 59

6 .**نصر المؤمنين وقهر الطغاة:**
((وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) الأنفال:10

7 .**إتقان الخلق:**
((وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ)) الأنعام: 73

8 .**الخلق ليس عبثاً بل لحكمة:**
((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ))
المؤمنون: 115

9 .**القرآن مصدر الحكمة:**
((كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)) هود: 1

10 .**مهمة النبي ﷺ تعليم الحكمة:**
((هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ)) الجمعة: 2

11 .**الحكمة عطية ربانية:**
((يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ)) البقرة: 269

كيف نتخلق باسم "الحكيم" في سلوكنا وشخصيتنا

1 .**الثقة في تدبير الله:**
عندما تؤمن أن الله هو الحكيم، تجد السكينة حتى في أشد الابتلاءات. فكل أمر يحدث بحكمة إلهية عميقة.

2 .**طلب الحكمة في حياتك:**
الحكمة مكتسبة، اطلبها من الله واطلبها من القرآن وتأمل في خلق الله.

3 .**تطبيق الحكمة ونشرها:**
بغير حكمة، تضيع الأعمال ولا تُثمر. اطلب الحكمة من الله، وطبقها في حياتك، وانشرها بين الناس.

قال النبي ﷺ:
"لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلَّطهُ على هلكَتِه في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها".
(البخاري ومسلم)

الودود

ورد اسم الله "الودود" مرتين في القرآن الكريم:
((ِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ))
البروج: 13-14

((وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)) هود:90

من أعظم الحقائق في العقيدة الإسلامية أن العلاقة بين العبد وربه يجب أن تُبنى على المحبة قبل الخوف. وقد تجلّى هذا المعنى في قوله تعالى:
((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)) المائدة 54

تأمل كيف بدأ الله سبحانه وتعالى بحبه لهم **"يحبهم "**قبل أن يذكر حبهم له **"ويحبونه!"**
ورغم أن من أسماء الله الحسنى ليس هناك "الحبيب" بمعناه العاطفي البشري، إلا أن "الودود" يتجاوز ذلك، فهو حب فعّال يظهر في الرعاية والرحمة والإنعام.

الفرق بين الود والحب:

- **الحُبّ** :هو شعور عاطفي داخلي.
- **الوُدّ** :هو الحب الذي يُترجم إلى أفعال وعطاء وعناية.

فقد يحب الإنسان شخصًا لكنه لا يُظهر حبه، أما **الودود** سبحانه، فإنه يُظهر محبته لعباده بعطائه المتواصل ورحمته الواسعة.

قال الإمام حماد بن سلمة رحمه الله :لو خُيّرت بين أن يُحاسبني الله أو يُحاسبني أبواي، لاخترت محاسبة الله، لأن الله أرحم بي من أبويَّ.

تأمل مظاهر ود الله تعالى:

- خلق الشمس لتنير وتدفئنا، وخلق الليل للسكن والراحة.
- لم يكتفِ سبحانه بتوفير الطعام، بل خلق تنوعًا لا يُعد من الأطعمة، والورود الجميلة، والروائح العطرة، والطيور الملونة، والمشاهد الخلابة - وكل ذلك لا يهدف إلى البقاء فقط، بل ليُسعدنا.
- وكل هذا ينعم به المؤمن والكافر على حد سواء، لكن الله يحتفظ بمودة خاصة لأهل الإيمان:
((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً)) مريم: 96

تأمل كيف سيكون شعورك لو ذكرك أحد الملوك أو المشاهير بالاسم أمام الناس! فكيف إذا كان الذي يذكرك هو **ملك الملوك** ورب السماوات والأرض؟

قال رسول الله ﷺ:
"إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض".
(رواه البخاري)

الله عز وجل لا يحتاج إلى محبتنا؛ فإن أحببناه أو لم نحببه فهو الغني عنا. لكنه، برحمته، يريد منا أن نحبه حتى يملأ قلوب الخلق بحبنا.

ومن لطيف رحمته سبحانه أنه يدعونا إلى بابه في ضعفنا ومرضنا وانكسارنا؛ يفرح بتوبتنا، ويقبل اعتذارنا، ويحب تضرعنا .وعندما رفض أهل الطائف دعوة النبي ﷺ وأدموه بالحجارة، توجه إلى الله يناجيه بضعف المحب:
"اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس"...

وكذلك حين وضعت امرأة عمران مولودتها، وقد كانت تتمنى أن يكون ذكرًا لتهبَه لله، قالت:

((رب إني وضعتها أنثى...))
فجاء الرد الإلهي الحاني:

((فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...))
آل عمران: 37

مَنْ غير الله الودود يدعوك إليه بدون قيد أو شرط، ويفتح لك بابه بلا ميعاد، ليسمع شكواك ويفرح بعودتك؟

كيف نتخلق باسم "الودود" في سلوكنا وشخصيتنا

1 .محبة الله بصدق
بادله المحبة بالطاعة والإخلاص والذكر والدعاء.

2 .التحلي بالصفات التي يحبها الله
الله يحب:

- المحسنين
- المتقين
- المقسطين
- المتطهرين
- التوابين
- المتوكلين
- الصابرين

3 .حب الخلق وخدمتهم
كن رحيمًا بالناس، واسعَ إلى نفعهم كما يحبك الله.

4 .الحب في الله ولله
قال النبي ﷺ:
"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...
ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه".
(البخاري ومسلم)

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام:
" من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان." (رواه أبو داود)

الوَلِيّ والمَوْلَى

هذان الاسمان الجليلان **الوَلِيّ** و**المَوْلَى** من أسماء الله الحسنى التي تُعبّر عن قرب الله من عباده، وحمايته لهم، وولايته عليه. إن كان اسم **الوَلِيّ** مُدرجاً ضمن قائمة التسعة والتسعين اسماً، إلا أن **المَوْلَى** كذلك ورد ذكره في القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة بمعنى متقارب ومكمّل.

الوَلِيّ هو الذي يتولّى أمر عباده المؤمنين بالرعاية والحفظ والنصرة. قال الله تعالى:

((أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) الشورى: 9

وقال سبحانه:
((وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)) الشورى: 28
((إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)) الأعراف: 196

أما **المَوْلَى** فهو السيّد والمولى الناصر لعباده، وقد جاء في قوله تعالى:
((فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)) الأنفال: 40
وقال تعالى:
((وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)) الحج: 78

((قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ۚ هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)) التوبة: 51

وكذلك دعا بهما النبي ﷺ في دعائه الشريف:
"اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا، أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا". (رواه مسلم)

أصل الاسمَيْن في اللغة:
كلا الاسمين الجليلين ينبعثان من جذر لغوي يدل على القُرب والملازمة، مما يحمل معاني:
- القرب الحميم والدعم المباشر،
- الحماية والرعاية المستمرة،
- القيادة والسيادة الحكيمة.

ولذا يقول الله تعالى:
((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)) ق: 16

معنى الاسمَيْن العظيمَيْن:
- **الوَلِيّ** هو الذي يتولّى أمر عباده المؤمنين بحمايةٍ ورحمةٍ ورعاية، فلا يخافون وهم في كنفه.
- **المَوْلَى** هو السيد المالك المتصرف في شؤون عباده، الذي ينصرهم ويرعاهم ويوجههم إلى الخير.

ولهذا يقول الله تعالى:
((ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ)) محمد: 11
((هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا)) الكهف: 44

ثمرة الإيمان بهذين الاسمين:

- إذا اتخذتَ الله وَلِيًّا، تولّى شأنك وحماك من كيد الأعداء ومن وسوسات الشيطان.
- وإذا اتخذتَ الله مَوْلًى، كانت السيادة والحماية والعزة لك في الدنيا والآخرة.

((وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا))
النساء: 45

عندما يكون الله هو وليك، فلن تخشى شيئًا أبدًا - لا أعداء، ولا شدائد، ولا مؤامرات - لأن الله عليم بكل شيء، متصرف في كل شيء.
قال تعالى:
((إن الله أعلم بأعدائكم، وكفى بالله وليًا، وكفى بالله نصيرًا))
النساء: 45

حتى في وجه الشدائد، يوقن المؤمنون بحكمة تدبير الله ولطفه فيما قدَّر:
((قل: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، هو مولانا، وعلى الله فليتوكل المؤمنون)) التوبة: 51

فإن كان الله وليك، ستشعر بالأمان في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه:
((إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة: ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (30) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)) فصلت: 30-31

ولكي ينال العبد ولاية الله، لا بد أن يتحلى بالتقوى والإيمان، ويتجلى ذلك في العمل الصالح:
((ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (62) الذين آمنوا وكانوا يتقون)) يونس: 62-63

وقال تعالى:
((والله ولي المتقين)) الجاثية: 19

وقال سبحانه:
((إن وليي الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولى الصالحين)) الأعراف: 196

وقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل:

" من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه." (البخاري)
لاحظ أن لفظ "ولي" يُستخدم لكلٍّ من الله والعبد: فعندما يكون الله وليَّ العبد، يكون هو حافظه وناصره. وعندما يكون العبد "وليًّا لله"، فهو الذي يعيش في ظل حماية الله وعنايته، أي في كنفه.

وينبغي أن نكون على وعي دائم بأن الشيطان قريب منا، كما قال النبي ﷺ:
"إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." (البخاري ومسلم)

وهذا يعني أننا أمام خيار حاسم: من سيكون قريبًا منا ومؤثرًا فينا - الله أم الشيطان؟

فإذا اخترت الله وليًّا لك، هداك وحفظك من الضلال، وإن اتبعت الشيطان، أضلك. قال الله تعالى:
((الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)) البقرة: 257

وقال تعالى:
((وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)) الأنعام: 121

كيف نتخلق باسم "الولي" في سلوكنا وشخصيتنا

1 .اكتساب ولاية الله بالتقوى والصلاح

- لكي يكون الله وليك — ناصرك وحاميك — لا بد أن:
- تنمّي في قلبك تقوى الله (خشية الله في السر والعلن).
- تكون صالحًا في جميع أعمالك.
- تلتزم بأوامر الله.
- تكثر من النوافل بعد أداء الفرائض.

قال تعالى:
((وهذا صراط ربك مستقيمًا، قد فصلنا الآيات لقوم يذكّرون (126) لهم دار السلام عند ربهم، وهو وليهم بما كانوا يعملون)) الأنعام: 126-127

2 .اختيار الصحبة الصالحة
الناس إما أولياء لله أو أولياء للشيطان. فاختر رفقة من يقربك إلى الله ويعينك على الاستقامة.

قال تعالى: ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)) المائدة: 55

وقال: ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم)) التوبة: 71

3 .الدعاء بأسم الله "الولي" في صلواتك وأدعيتك

دعاء يوسف عليه السلام: ((ربي قد آتيتني من الملك وعلّمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين)) يوسف: 101

دعاء موسى عليه السلام: ((أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا، وأنت خير الغافرين)) الأعراف: 155

دعاء المؤمنين الذي علمهم الله:
((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنّا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)) البقرة: 286

الوَاحِد - الأَحَد

هذان الاسمان الجليلان من أعمدة التوحيد في الإسلام، وهما يعبّران بأقصى درجات الوضوح عن كمال وحدانية الله جل جلاله وتنزُّهه عن الشريك أو المثيل أو النظير في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

ويدلان معًا على:
1 .أنه سبحانه متفرد وحده، لا ثاني له.
2 .لا يقبل القسمة، ولا يمكن استنساخه أو تكراره.
3 .فريد في كماله، لا يُشبهه شيء.
4 .حقيقته فوق إدراك العقول.

اسم "الأحد" ورد مرة واحدة في القرآن الكريم، في سورة الإخلاص — السورة التي تلخص جوهر التوحيد:

((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿1﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿2﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿3﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)) سورة الإخلاص: 1-4
الأحد" يُبرز تفرد الله المطلق الذي لا مثيل له.
وقد قال النبي ﷺ:
" قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
" أسست السماوات السبع والأرضون السبع على: {قل هو الله أحد} ".(رواه أحمد وغيره)

فما دامت كلمة التوحيد قائمة، تبقى الحياة قائمة، فإذا ضاعت، فقد الكون غايته:
((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) الذاريات: 56

أما اسم "الواحد"، فقد ورد ست مرات في القرآن الكريم، وكلها مقرونة باسم "القهار"، تأكيدًا لأن وحدانية الله مقرونة بجبروته وسلطانه المطلق:

((قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)) الرعد: 16

((قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)) ص: 65

وتأتي هذه الآيات تحذيرًا قاطعًا من الشرك، وتأكيدًا لانفراد الله وحده بالعبادة.

يؤكد القرآن الكريم رفضه القاطع لكل أشكال الشرك، خاصة فكرة التعددية الإلهية:

((يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِى دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٌ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا))النساء: 171

((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلَّا إِلَـهٌ وَاحِدٌ)) المائدة: 73

وإن أعظم الذنوب هو الشرك بالله، وهو الذنب الذي لا يُغفر لصاحبه إن مات عليه:

((إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا)) النساء: 48

((مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ)) المائدة: 72

التوحيد الحقيقي يُحرر القلب من الخوف من الخلق، ويمنح الإنسان يقينًا وطمأنينة، ويجعله لا يعتمد إلا على الله وحده:
((وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ)) هود: 123

أما رفض التوحيد فيقود إلى الضياع والهلاك في الدنيا والآخرة:

((فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)) الشعراء: 213

كيف نتخلق باسم "الواحد الأحد" في سلوكنا وشخصيتنا

1 .احتضان فرادتك:
الله خلقك بقدرات فريدة لأداء دورك في الحياة. لا تهدر هذه النعم. طوّر نفسك، وكن مصدرًا للعلم والفضيلة والرحمة والإخلاص.

2 .تطهير إيمانك من الشرك الخفي:
راجع قلبك باستمرار، واحرص على ألا تعتمد إلا على الله وحده. قال النبي ﷺ:
" إن أخوفَ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغرُ. قالوا: وما الشركُ الأصغرُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: الرّياءُ ". (رواه أحمد)

3 .تأمل قدرة الله من خلال العلم:
تدبر في القرآن وفي آيات الكون. قال الله تعالى:
((فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَـٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) الحج: 46

4 .كُن صادقًا في إعلان إيمانك:
لا تخف من التصريح بإيمانك الواضح بواحدانية الله، وأعلن عقيدتك بثبات ويقين.

5 .لا تتبع بدون دليل:
الإيمان الحقيقي مبني على فهم وبصيرة، لا على التقليد الأعمى. قال الله تعالى: ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ)) محمد: 19

وقد نبَّه النبي ﷺ إلى خطورة الشرك الذي يقع فيه من يقلّدون العلماء والرهبان بدون علم أو بيّنة، فقال:

" حرَّموا عليهم الحلالَ وأحلوا لهم الحرامَ فاتبعوهم فذلك عبادتُهم إياهم" (رواه الترمذي)

6 .اقرأ سورة الإخلاص وتدبر معانيها باستمرار:
قال النبي ﷺ:
"قل هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن." (البخاري، مسلم)
سورة الإخلاص تلخص لبّ العقيدة الإسلامية في التوحيد.

7 .قَرْن التوحيد بالعمل الصالح:
التوحيد هو الأساس، ولكن العمل الصالح هو ما يكمّله ويثبت أثره. قال الله تعالى:
((فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) الكهف: 110

العَلِيم

اسم الله **العليم** ورد في القرآن الكريم أكثر من 150 مرة، وغالبًا ما يُقترن بأسماء أخرى لله سبحانه لتبرز أبعاد علمه اللامحدود، مثل:

(الحكيم) ((قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)) البقرة: 32

(العزيز) ((فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)) الأنعام: 96

(القدير) ((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)) النحل: 70

(الخبير) ((... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) الحجرات: 13

(الخلّاق) ((إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)) الحجر: 86

(السميع) ((وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) فصلت: 36

وكان النبي ﷺ يُعلّم أصحابه أن يستعيذوا بالله من الشيطان قائلين:
" أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه" (رواه أبو داود والترمذي والنسائي)

كلمة "العليم" في اللغة العربية على وزن صيغة المبالغة، مما يدل على الكمال المطلق في عمق وسعة العلم. علم الله تعالى شامل لكل شيء: الغيب والشهادة، الماضي والحاضر والمستقبل، بأدق تفاصيله وأعظم مآلاته.

وعلى عكس علم البشر الذي يُكتسب اكتسابًا، فإن علم الله سبحانه ذاتي وأزلي؛ فكل شيء في الوجود معلوم له سبحانه لا لأن الأشياء كائنة فيُعلمها، بل لأنها في علمه الأزلي فكانت.
((وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)) الإسراء: 85

حتى لو وُصف الإنسان بأنه "عليم" - كما وصف يوسف عليه السلام نفسه:
((قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ))
يوسف: 55
فإن علم الإنسان يظل محدودًا أمام علم الله اللامحدود.
فقط الله عز وجل يعلم ما كان وما يكون وما سيكون. يعلم الغيب والشهادة:
((وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ))
التوبة: 105
((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ))
الحشر: 22
لا شيء في الكون يغيب عن علم الله، لا ذرة في السماوات ولا في الأرض:
((لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ)) سبأ: 3

ويعلم ما يسقط من ورقة، وما في أعماق الأرض من حبة:

((وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ))
الأنعام: 59

ويعلم كل ما يدخل في الأرض أو يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يصعد إليها:

((يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ))
الحديد: 4

ويعلم وساوس النفس، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد:

((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)) ق: 16

ويعلم ما تحمله الأرحام وما تغيض أو تزداد:
((ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ (8) عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ)) الرعد: 8-9

إن هذه الآيات تفتح أمامنا أبواب التدبر العميق في عظمة علم الله، وتدعونا إلى تقدير العلم، والسعي فيه، وتأمل الأنظمة الدقيقة التي بثها الله في الخلق.

كيف نتخلق باسم "العليم" في سلوكنا وشخصيتنا

1- الاجتهاد في طلب العلم الواسع والعميق
ابذل وسعك في تخصصك بتفانٍ وإخلاص.

2- الاهتمام بأدق التفاصيل
لا شيء في الحياة صغير أو غير مهم. كل لحظة وكل عمل له وزن.

3- تعظيم الله من خلال إدراك مدى علمه
تدبّر آيات قدرته ليقوى إيمانك وخشيتك.

4- طلب العلم من خلال تقوى الله
((واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم)) البقرة: 282

5- الالتزام بدراسة العلوم الطبيعية وتأمل الكون
قال تعالى:
((إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)) آل عمران: 190

6- اعتبار التقدم العلمي جزءًا من غاية الإسلام
قال الإمام بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله" :**المعجزات في كتاب الله هي وعد للبشر سيبلغون مثلها بالأسباب والعلم".**

كلما ازداد تأملك في علم الله، امتلأ قلبك خشوعًا وحمدًا، وزاد شوقك إلى أن تحيا حياة ملؤها الوعي والغاية.

الحَلِيم

اسم الله **الحليم** مشتق من الجذر العربي (ح – ل - م)، الذي يدل على الحِلم، والصبر، والرفق، والأناة، وضبط النفس. وقد رُفع من قدر هذه الصفة في اللغة العربية حتى قيل:

- "الحِلمُ سيدُ الأخلاق".
- "كاد الحليم أن يكون نبيًا".

الحليم هو الذي يؤخر العقوبة مع كمال القدرة على إنزالها، فيمنح العاصي فرصة للتفكر، والتوبة، والرجوع إلى الحق. وليس تأخيره للعقوبة مكيدةً ليوقعه في عذاب أعظم، ولا هو عن عجز أو ضعف، بل هو عن حكمة ورحمة.

ورد اسم الله **الحليم** في القرآن الكريم 11 مرة، وفي جميع المواضع اقترن بأسماء أخرى ليعمق لنا معاني الحِلم:

- ست مرات مع الغفور
- ثلاث مرات مع العليم
- مرة مع الغني
- مرة مع الشكور

أمثلة على ذلك:

((لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)) البقرة: 225

((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)) البقرة: 235

((تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)) الإسراء: 44

((لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ")) الحج: 59

((وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا)) الأحزاب: 51

((قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ)) البقرة: 263

((إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ)) التغابن: 17

الله سبحانه وتعالى يعلم كل مظالم العباد، ومع ذلك لا يعجل بالعقوبة. بل يُمهلهم بحلمٍ منه حتى يتوبوا ويرجعوا. وهو يرزق العصاة والمنكرين، ويطيل لهم الأمل، لعلهم يعودون.

((وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)) النحل: 61

حتى أولئك الذين تحدّوا الله قائلين:
((وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) الأنفال: 32

لم يُبادرهم بالعقوبة، بل قابل طغيانهم بالحِلم.

كل واحد منا ينعم يوميًا بحلم الله تعالى. نحن نقع في الذنوب ونتوانى عن الطاعات، ومع ذلك يمنحنا الله الفرصة تلو الأخرى لنصحح مسارنا. حلمه رحمة وفرصة للرجوع.

مع ذلك، فإن حلم الله لا يعني ترك الظالمين إلى ما لا نهاية. في بعض الحالات، إذا زاد ظلم الناس وفسادهم، فإن الحكمة الإلهية قد تقتضي تعجيل العقوبة حفاظًا على العباد.

وقد وصف الله نبيه إبراهيم عليه السلام بأنه كان حليمًا:
((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ)) هود: 75

وبشّره بغلام حليم:
((فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)) الصافات: 101

وكان النبي ﷺ يدعو باسم الله الحليم في أوقات الكرب:
" لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم" (رواه البخاري)

وعلمنا أن الحلم يمكن اكتسابه وتدريبه، فقال ﷺ:
" إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم" (رواه الطبراني)

وقال لِلأشج عبد القيس:
" إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة" (رواه مسلم)

ومن أجمل صور حلم النبي ﷺ موقفه يوم الطائف. بعد أن طُرد وأوذي، جاءه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال ليطبق الأخشبين عليهم، لكنه ﷺ قال:
"بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا"

وكانت النتيجة أن دخل أهل الطائف في الإسلام لاحقًا، وساهموا في رفعة الدين.

كيف نتخلق باسم "الحليم" في سلوكنا وشخصيتنا

1. لا تتصرف بغضب ولا تُسرع إلى العقوبة، خاصة مع أهل بيتك.
2. أعطِ الناس فرصة ليدركوا أخطاءهم ويصلحوها.
3. تجنّب الشدة في الحكم على الآخرين، فالناس يحبون الحلم والرفق.
4. امنح الآخرين فرصة للتوبة قبل المحاسبة.
5. صحح الأخطاء بلطف، فسيبقى أثر ذلك في قلوبهم.
6. تأمل في أثر الحلم على نفسك وعلى الآخرين، وكيف يُطفئ نيران الغضب ويوجه الناس إلى الخير.

الغفَّار – الغفور - العفو

إن أسماء الله الحسنى: الغفَّار، والغفور، والعفوّ، جميعها تدور حول محور المغفرة، لكنها تعبر عن أبعاد مختلفة من رحمته سبحانه وتعالى.

- الغفَّار: مأخوذ من الجذر (غ – ف – ر)، ويدل على المغفرة والستر والحماية. وهو يشير إلى أن الله يغفر مهما كان نوع الذنب (النوعية).

- الغفور: من الجذر ذاته، ويشير إلى أن الله يغفر مهما كثرت الذنوب وتكررت (الكمية).

- العفوّ :مأخوذ من الجذر (ع – ف – و)، ويعني المحو والإزالة. ويشير إلى محو الذنوب تمامًا كأنها لم تكن أصلًا.

اسم الله "الغفَّار" ذُكر في القرآن الكريم ثلاث مرات، وجاء في كل مرة مقترنًا باسم الله "العزيز" (الغالب القوي).
من ذلك قوله تعالى:

((رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ)) ص: 66

وكذلك:
((خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ)) الزمر: 5

وأيضًا في قصة مؤمن آل فرعون:
((وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ (41) تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ)) غافر:41-42

اسم الله "الغفور" ذُكر في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة:
- تسع مرات مع "الرحيم"
- مرة مع "العزيز"
- مرة مع "الودود"

قال تعالى:
((نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)) الحجر: 49

((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم))
الزمر: 53

((تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (1) ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ)) الملك:1-2

((إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ))
البروج:13-14

اسم الله "ٱلۡغَفُوُّ" ذُكر في خمسة مواضع من القرآن الكريم:
- أربع مرات مع "الغفور"
- مرة مع "القدير"

قال تعالى:

((إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا (97) إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا (98) فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا)) النساء: 97-99

((إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا)) النساء: 149

وقد علَّم النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها أن تدعو ليلة القدر بهذا الدعاء:
"اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي." (الترمذي)

ويلاحظ عند تدبر الآيات أن "العفوّ" يُستخدم غالبًا في سياق **محو الذنوب الجسيمة**، كما في قصة عبادة العجل:

((وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ)) البقرة:51-52

وكذلك عند فرار المسلمين يوم أحد:
((إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ))
آل عمران: 155

أيهما أعظم: الغفور أم العفو؟
اختلف العلماء:
- فريق يرى أن "العفو" أعظم لأنه محو كامل للذنب.
- وآخرون يرون أن "الغفور" أعظم لأنه مع الغفران قد يُبدل السيئات حسنات، كما في قوله تعالى:

((وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا (68) يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا (69) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا)) الفرقان: 68-70

والجمع بين الأسماء الثلاثة (الغفَّار، الغفور، العفو) يُستحب في الدعاء، لطلب المغفرة الشاملة: ستر الذنب، ومحو أثره، واستبداله بالحسنات.

الاستثناء من المغفرة

1 -**الشرك بالله:**
((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا)) النساء: 48

2 -**الإصرار على المعصية بلا توبة:**
((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) آل عمران: 135

كيف نتخلق باسم "الغفور" في سلوكنا وشخصيتنا

1- الدعاء بأسماء الله: الغفَّار، والغفور، والعفو.
مهما كان نوع ذنوبك أو كثرتها، الزم طلب مغفرة الله بإخلاص، مع التوبة الصادقة والعمل الصالح.

2- لا تيأس من رحمة الله.
قال رسول الله ﷺ:
"والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم" رواه مسلم

هذا الحديث ليس إذنًا بالمعصية، بل هو تطمين ورحمة: مهما عظم الذنب، فإن الله واسع المغفرة. المهم هو التوبة الصادقة.

3- اغفر للناس كما تُحب أن يَغفِر الله لك.
قال تعالى :((وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) النور: 22

وعلى الرغم من أن القصاص مباح، فإن العفو محمود:

((وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)) الشورى: 39-40

وقال تعالى:
((وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)) آل عمران: 133-134

4- استر عيوب الآخرين كما تحب أن يستر الله عيوبك.
قال رسول الله ﷺ" :ومن ستر مؤمنًا ستره الله في الدنيا والآخرة. " رواه مسلم

5- لا تجاهر بمعصيتك.
قال النبي ﷺ: " كل أمتي معافى إلا المجاهرين"
رواه البخاري ومسلم

6- أكثر من الاستغفار.
قال رسول الله ﷺ: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة." رواه البخاري

7- اجعل الاستغفار سبيلًا لحل جميع مشكلاتك.
كان الإمام الحسن البصري ينصح مَن يشكو إليه قحط المطر أو ضيق الرزق أو قلة الذرية بالإكثار من الاستغفار، استنادًا إلى قول نبي الله نوح عليه السلام:

((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)) نوح: 10-12

8- تحرّ وقت السَّحَر لطلب المغفرة.
قال تعالى:
((وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ)) آل عمران: 17

((وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)) الذاريات: 18

الحميد

اسم الله "الحميد" يتكرر كثيرًا في القرآن الكريم، سواء بمفرده أو مقترنًا بأسماء إلهية أخرى مثل: "الغني"، "العزيز"، "الولي"، "المجيد"، و"الحكيم".

"الحميد" مشتق من الجذر الثلاثي (ح – م - د) الذي يدل على الحمد، والثناء، والتقدير. ويتميز "الحمد" عن "الشكر" بأنه أوسع وأشمل: فالشكر يكون على النعم الخاصة، أما الحمد فيكون لصفات الكمال والجمال الذاتية، سواء ظهرت لنا نعمته في موقف محدد أم لا. لذا فالله هو "الحميد" في كل وقتٍ وحال، في السراء والضراء، وفي كل الأحوال.

أبعاد اسم الله "الحميد" :

1- مستحق للحمد في جميع الأحوال:
الله يُحمد على النعم وعلى الابتلاءات أيضًا، لأننا نثق بحكمته، فحتى المصائب قد تكون رحمة في لباس ابتلاء. كما قال تعالى: ((وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ)) السجدة: 21

2- هو الذي يُلهم الخير، ويثيب عليه، ويمدح فاعليه:
يمنحنا الله التوفيق لفعل الخير، ثم يثيبنا عليه ويمدحنا، مع أن الفضل كله منه. كما يُثني الأب على ابنه عندما يشتري له هدية من مال أعطاه إياه.

3- مدحه لنفسه هو حق وعدل وكمال:

بخلاف البشر، مدح الله لنفسه هو تعليم لنا، لنُدرك كماله ونلجأ إليه ونتوكل عليه. هو ليس من باب التعالي أو التفاخر، وإنما من باب البيان والرحمة .للتوضيح: تخيل رجلاً ثريًا يعرض المساعدة على محتاج، لكن هذا المحتاج يرفض مساعدته لأن مظهر الرجل لا يدل على غناه. فإذا كشف هذا الرجل عن مكانته وثروته، فليس ذلك تباهيًا، وإنما ليُعلِم الآخرين بقدرته على المساعدة. وكذلك عندما يثني الله سبحانه وتعالى على نفسه، فليس ذلك للتفاخر، بل لكي نُدرك عظمته، ونلجأ إليه عند الحاجة، ونعتمد عليه اعتمادًا كاملًا.

تأملات في الآيات التي ورد فيها اسم "الحميد"

1- مقترنًا بالكلام الطيب والطريق المستقيم:
((وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ))
الحج: 24
بينما الكلام الطيب المحترم يهدي إلى الله، فإن الكلام السيئ له عواقب وخيمة. قال النبي ﷺ:

"إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفًا" (الترمذي)

2- مقترنًا بـ "العزيز"
((كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ)) إبراهيم: 1
فالنور واحد، بينما الظلمات متعددة.

3-مقترنًا بـ "الولي"
((وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ)) الشورى: 28
الله هو الولي الذي ينصر ويعتني بعباده المؤمنين.

4- مقترنًا بـ "المجيد"
((قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)) هود: 73
وهو جزء من دعاء التشهد الذي علمنا النبي ﷺ أن نقوله لأهل بيته.

5- مقترنًا بـ "الحكيم"
((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) فصلت: 42
فالله يحفظ القرآن بحكمته وكماله من أي نقص أو تحريف.

6- مقترنًا بـ "الغني"
((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ))
فاطر: 15
فحمدنا لله لا يزيده شيئًا، بل هو فضل يعود نفعه علينا.

تسبيح الله بالحمد

إن الجمع بين "التسبيح" و"الحمد" هو أكمل صور الذكر، كما في قولنا« *سبحان الله وبحمده* .»قال ﷺ:
"كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم." (البخاري)

بل كل شيء في الكون يسبح بحمده، وإن كنا لا ندرك ذلك:

((تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)) الإسراء: 44

وفي الجنة، سيكون دعاؤهم الأخير:
((دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَـٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ)) يونس: 10

كيف نتخلق باسم "الحميد" في سلوكنا وشخصيتنا

1- حافظ على لسانك دائم الذكر بالحمد:
عوّد نفسك على قول "الحمد لله" بانتظام، مع استحضار المعنى والتأمل فيه. وفي كل مرة تقولها، تذكّر نعم الله التي لا تُحصى. فكثيرًا ما نأخذ النعم الأساسية مثل الطعام والمأوى والنوم كأمر مُسلَّم به. قال النبي ﷺ:

"من أصبح منكم آمناً في سِرْبِهِ، معافًى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حِيزَت له الدنيا." (رواه الترمذي)

2- تأمل في معنى الحمد من خلال قدوة الصالحين:
تأمل في تواضع السلف الصالح. فعندما جاء رسول من أذربيجان إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه متوقعًا مائدة فاخرة، قُدم له خبز وملح فقط، فقال عمر بفرح:

" الحمد لله، هذه نعمة .وبعد انتهائه من الطعام قال:

الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين".
حتى أبسط النعم تستحق الحمد. فكم منا اليوم يقول "الحمد لله" لو قُدم له على الإفطار فقط خبز وملح؟

3- اعترف بنِعَم الله عليك:

معرفة مواهبك وقدراتك ليست غرورًا إذا كانت بنية التواضع والإخلاص. فالله يمنح كل شخص مواهب ليخدم بها الآخرين. لا تُخفِ مواهبك، بل استخدمها لخدمة مجتمعك، وساعد الآخرين على تنمية قدراتهم أيضًا.

4- ارضَ في كل الأحوال:

الشكر لا يقتصر على أوقات الرخاء، فالمؤمن الحق يتقلب بين الشكر عند النعم والصبر عند الشدائد. وعندما نرضى عن الله في جميع الأحوال، يرضى الله عنا:
((قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) المائدة: 119

وقد رأى الإمام الشافعي رجلاً يطوف بالكعبة وهو يقول:

"اللهم هل أنت راضٍ عني؟" فقال له:

"وهل أنت راضٍ عن الله؟" قال:

"كيف أرضى عن الله؟" قال:

"إذا كان سرورك بالبلاء كسرورك بالنعمة".

5- اجعل رضاك في دوام التسبيح والحمد:

إن تحقيق السلام الداخلي يكون من خلال التسبيح الدائم وحمد الله تعالى في جميع الأوقات:
((فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ)) طه: 130

الحي - القيُّوم

اسم الله "الحي" يدل على حياته الكاملة الأزلية الأبدية، التي لا ابتداء لها ولا انتهاء. وجوده سبحانه غير محتاج إلى شيء، وهو مصدر الحياة كلها. بخلاف حياة الإنسان التي تبدأ من العدم وتنتهي بالموت، فحياة الله مطلقة، قائمة بذاته، ولهذا اقترن اسمه "الحي" باسم "القيوم" .

أما "القيوم" فله معنيان رئيسيان:

١ .**القائم بنفسه** : أي أن الله لا يحتاج إلى شيء، ولا يتوقف وجوده ولا صفاته على غيره.
٢ .**القائم على غيره** : فكل مخلوق مفتقر إليه في وجوده وبقائه، فهو الذي يدبر الأمور، ويحفظ الكون، ويحكم بالعدل الكامل.

هذان الاسمان متصلان اتصالاً وثيقاً بأسماء أخرى مثل: الصمد (الغني عن كل ما سواه، المقصود في الحوائج)، المهيمن (المسيطر والمراقب لكل شيء)، الرزاق (المتكفل بأرزاق جميع المخلوقات).

وقد جاء هذان الاسمان معًا في ثلاثة مواضع عظيمة من القرآن الكريم:

((اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ)) البقرة: 255

((اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...)) آل عمران: 2-3

((وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا))
طه: 111

وجاء ذكر "الحي" منفردًا في موضعين آخرين:

((وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ)) الفرقان: 58

((هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ))غافر: 65

فالله وحده هو الحي الذي لا يموت، بينما جميع المخلوقات بدايتها من عدم ونهايتها إلى فناء. هو وحده الخالق للحياة والموت:

((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا))
الملك: 2

((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا))
الإنسان: 1

((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))
القصص: 88

الثقة بغير الله خطأ؛ فكل من نعتمد عليه من البشر إما سيموت أو يتلاشى أو يعجز. لكن الله الحي الباقي هو وحده من يستحق الاعتماد:

((وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ)) الفرقان:58

كذلك، كونه "القيوم" يعني أنه المتصرف في وجود كل شيء، وبقائه، وزواله:

((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)) هود: 60

هاتان الصفتان تكشفان عن كمال استغناء الله، وكمال افتقار خلقه إليه.

لنعرف معنى "القيوم"، تخيَّل لو أنك مسؤول عن شارع واحد فقط: تقوم بتوفير الطعام، والشراب، والهواء، وإدارة كل عضو من أجسام الناس، وحماية البيئة، والاعتناء بكل امرأة حامل، وكل طفل رضيع، وكل طائر، وكل حشرة، وكل شجرة... لحظة بلحظة، بلا غفلة ولا خطأ!
فكيف لو كانت مسؤوليتك عن الأرض والسماء وما بينهما؟

الله عز وجل هو القيوم على كل شيء:

((أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ)) الرعد: 33

ولذا قال: ((لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)) البقرة: 255

لا يغفل الله عن شيء، ولا يغيب عنه شيء لحظة. لو غفل طرفة عين لهلك الكون بأسره.

إنه سبحانه من يُبقي قلبك ينبض وأعضاءك تعمل وأنت نائم بلا وعي. هو الحي القيوم.

كيف نتخلق باسم "الحي القيوم" في سلوكنا وشخصيتنا

1 .التوسل إلى الله بهذين الاسمين في الشدائد:

افهم قوة اسمي الله "الحي" و"القيوم"، واستعملهما في دعائك في أوقات الشدة والضيق.
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كَرَبه أمرٌ قال:
"يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث." (ابن حبان)
كما أوصى ابنته فاطمة رضي الله عنها بقوله:

" إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ قولي: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين."
(رواه النسائي والحاكم والبيهقي)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:
" إن التوسل إلى الله بهذين الاسمين له تأثير عجيب في إزالة الشدائد، وبث القوة في البدن، والطمأنينة في القلب، والنور في الروح."

2 .إحياء القلب روحيًّا:

ادعُ الله باسمه "الحي" ليحيي قلبك. فالقلب الحي يعرف الحق، ويشعر بالندم على الذنب، ويقترب إلى الله، بينما القلب الميت لا يشعر بشيء. حافظ على حياة قلبك بذكر الله، والصلاة، والتوبة الصادقة.

3 . ثق أن الله يتولى رزقك:

ثق كل الثقة في أن الله الحي القيوم لا ينسى خلقه. تأمل كمال تدبيره ورعايته الدائمة. فما من حاجة لك - من صحة، أو رزق، أو هداية - إلا وهو سبحانه مصدرها وكافلها.

((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا...)) هود: 6

4. كن عونًا للآخرين:

اجعل من نفسك مظلَّة رحمة للناس، مُستلهمًا من صفة "القيوم". ساعد من حولك بقدر استطاعتك، وكن سندًا لأهلك، وعائلتك، ولمجتمعك. تذكر أن الله يحب عبده الذي يكون في عون الناس،

قال النبي ﷺ:
" من نفَّس عن مؤمن كُربةً من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه."
(مسلم)

تم بحمد الله وشكره ...

عن المؤلف:

الدكتور ممدوح محمد سلامة هو زميل هندسي سابق في إحدى شركات النفط الكبرى، وزميل مدى الحياة في الجمعية الأمريكية للمهندسين الميكانيكيين(ASME) .

حصل على درجة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية بامتيازٍ عالٍ من مصر، ودرجتي الماجستير والدكتوراه في الهندسة الميكانيكية من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) .

قام بتأليف أكثر من 150 ورقة بحثية تقنية، وحصل على 25 براءة اختراع، وحرر أكثر من 30 من وقائع المؤتمرات الدولية، كما شغل منصب رئيس عدة مؤتمرات دولية متعلقة بالتطويرات البحرية والقطبية.

يُعَدُّ **ممدوح سلامة** متحدثًا دائمًا في مركز مريم الإسلامي، حيث يُلقي خطب الجمعة، كما يعقد حلقات علمية (حلقات ذكر) خلال عطلة نهاية الأسبوع بعد صلاة الفجر.

كتب العديد من المقالات حول الإسلام التي نُشرت في عدة صحف، كما ألقى العديد من المحاضرات أمام مجموعات مسلمة وغير مسلمة حول هذا الموضوع.

قام بنشر كتاب بعنوان **" صورتك في مرآة الإسلام"** والذي تم مراجعته واعتماده من قِبل اللجنة الدينية في الأزهر (مصر) لتوزيعه في الغرب.

وهو يعمل حاليًا على نشر كتب أخرى وهي:

1- **تدبر القرآن من خلال عدسة المصطلحات الرئيسية.**
2- **سيرة الرسولﷺ.**
3- **تأملات في مضامين سور القرآن الكريم.**
4- **التواصل الإلهي مع المؤمنين.**

وتُعد هذه الكتب خلاصة محاضراته التي ألقاها في مسجد مريم ومراكز إسلامية أخرى.

وختامًا نقول:

اللهم يا مَنْ أنت الله الذي لا إله إلا أنت،

يا من تجلّيت بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى،

يا رحمنُ يا رحيم، يا كريمُ يا حكيم، يا لطيفُ...

أسألك بأسمائك التي إذا دُعيت بها أجبت،

وإذا سُئلت بها أعطيت،

أن تجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهك الكريم، شاهدًا لي لا عليّ، وهدايةً لكل من قرأه وتدبّره وعمل به.

اللهم اجعلني ممن عرفك بأسمائك، فازداد لك حبًا، وعليك توكلاً، وبك ثقةً، ومنك خوفًا ورجاءً.
اجعل معرفتي بك نورًا لقلبي، وشفاءً لروحي، وهدايةً في حياتي، وسبيلاً إلى جنتك ورضوانك.

اللهم اجعل كل اسم من أسمائك الحسنى أثرًا في سلوكي، وبركةً في أمري، ونورًا في دربي.

د.ممدوح محمد سلامة

mamdouh.salama@comcast.net

هناك أسئلةٌ كُبرى تمسُّ جوهرَ الإنسان،
وتطرقُ أبوابَ القلبِ والعقلِ معًا.
في كلِّ فصلٍ، ستجدُ واحدًا من هذه الأسئلة، يعكِسُ بعضًا من همومِك،

لماذا خُلقنا؟
ما حقيقةُ هذه الحياة؟
وما هي رسالتُنا فيها؟
وكيف نصبح كما أرادنا اللّٰهُ أنْ نكون؟

ستوقِظُ الإجابةُ عن هذه الأسئلة قلبَك،
وستَمْنَحُك بوصلةً تُعينُك في زمنِ التشتُّتِ والإلتباس.
وستكتشِفُ أنَّ وجودَك ليس بصُدْفةٍ،
وأنَّ دورَك في هذه الدُنيا أعظمُ من السعيِ خلفَ الفاني،

بأسمائه نهتدي... ليس مُجرَّدَ كتابٍ،
بل هو دعوةٌ صادقةٌ لاكتشافِ سرِّ هذه الحياة من خلالِ مَعرفةِ اللّٰه،
والسيرِ على دربِ العُبوديةِ، والمَحبَّةِ، واليقيـــــن.

Dr. Mamdouh Salama
mamdouh.salama@comcast.net

$22.00
ISBN 978-1-969171-01-7
52200
9 781969 171017

Developed and Formatted by Texas Arabic Academy
info@TexasArabicAcademy.org
www.TexasArabicAcademy.org